مجلة شهرية

نـــور المسيح نور يسوع المسيح
ΦΩΣ XPIΣTOY

عدد: Issue No: 87
تشري ثاني November 2014

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دير القديس جوارجيوس زوغرافو في جبل آثوس

نقل رسم القديس جوارجيوس
من دير فانويل الى دير زوغرافو في جبل آثوس

الحياة السمائية

محتويات العدد

الحياة السمائية	2
كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث	3
نقل رسم القديس جوارجيوس الى جبل آثوس	4
الكهنوت وصفات الكاهن	5
تذكار القديس يعقوب اخي الرب للقديس نيقوديموس الآثوسي	6
العناية الإلهية للقديس يوحنا الذهبي الفم	10
خطرات أفكار المجالسة، المعاشرة، العزلة	11
تكريم الشهداء للأب متى المسكين	12
القديس جراسيموس الجديد في جزيرة كيفالينيا	14
مناهج التوبة	17
الأخوة النيام في الكنيسة	18
العظات الثمانية عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي	19
العطـاء أكثر غبطة من الأخذ	19
الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور	20
الكرسي الخالي	21
المسيح يصالح ...	21
أديبات للقديس باسيليوس الكبير	22
العهد القديم (٧١)	23
الغلاف الأخير الأيدي الثلاث للقديسة مريم والدة الإله	

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

ما أشبه هذه الحياة بماسورة البندقية، فجميع الطلقات لابدّ أن تمرّ من خلالها متجهة نحو الهدف.

فَيَصل بعضها إلى الهدف، ويمرّ البعض الآخر إلَى جانب الهدف، بينما يخيب البعض تماماً فلا يحقّق هدفاً ولا قصداً. وجميعنا طلقات في بندقية الوجود، وضعتنا يد اللّه بعناية، وملأتنا بطاقة متفجّرة، ووجَّهَتنا وجهة صحيحة نحو هدف كريم. لكننا كثيراً ما نضيّع الهدف، فأحياناً (ننحشر) في ماسورة البندقية، فلا نمرّ من خلال تلافيفها منطلقين إلى أهدافنا. بل تعطّلنا **تلافيف الحياة** ... فتبدّد طاقتنا.

إنّ اللّه (يُصَوِّبنا) من خلال بندقية الحياة نحو الهدف الإلهي الذي يريده لنا، وهو **الحياة السمائية** خلف ستار الزمن ، لذلك فإن أيام العمر القصير ليست سوى الزمن الكافي لاختراق الوجود والوصول الى الهدف.

لعلك كثيراً ما تمنيت أن تزيد أيام عمرك أو تزيد ساعات اليوم الواحد عن أربع وعشرين ساعة لتحقيق هدف وجودك. لكن اللّه يرى أن هذا العمر وهذا العدد من ساعات اليوم كاف تماماً. لذلك تَساوى الجميع من أغنياء وفقراء، كبار وصغار، رجال ونساء، في امتلاك نفس عدد الساعات في اليوم الواحد.

فليس المطلوب منك هو إنجاز كل الأشياء ولكن انتقاء أفضل وأهم الأشياء لتقوم بإنجازها. تلك التي تقودك إلى المجد الأبدي.

عزيزي

فليكن هدفك الوحيد هو الوصول إلى قلب اللّه.

ولتكن حياتك كلها عبارة عن رحلة إلى السماء .

إملأ تطلعك بالأشواق للسماء وما فيها.

لا تُضَيِّع أيام حياتك في أهداف زائلة من أباطيل العالم تُعَطِّل مسيرتك نحو اللّه.

كُن كالسهم يخترق الحياة الزائلة ويدخل الحياة الباقية فترتبط معه بعهد أبدي.

صحح مسار حياتك حتى لا تنحرف عن الهدف ... أخرج من تلافيف ذاتك. من دوامات أهدافك الباطلة التي تبعدك عن الهدف الذي يريده اللّه لك.

أنا هو البابُ. إن دخلَ بي أحدٌ فيَخلُص ويدخل ويخرج ويجد مرعى... أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف. (يو١٠:٩و١١). أنا الكرمة وانتم الأغصان. الذي يثبتُ فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً. (يو١٥:٥).

صحح مسارك ولا تستمر في الطريق المسدود ولا تسمح أن تتوه في الطريق الواسع الذي تتبدد فيه كل طاقاتك.

تأكد عن وضع أقدامك في الطريق الصحيح ثم ثبتها.عليك أن تستعرض أهدافك. إبحث عن رسالتك وحافزك.

الهدف يجعل من الرحلة الصعبة قيمة تستحق الجهاد.

وفي قول الشاعر أجمل عبرة

يا سائلَ اللّه فزتَ بالظَّفر
وبالنَّـوال الهَنـيِّ لا الكَـدَر
فارغَب إلى اللّه لا إلى بَشَر
منتَقل فَي البِلَى وفي الغِيَر
وارغَب إلى اللّه لا إلى جَسَد
منتَقل من صبـاً إلى كبَـر
إنَّ اللّه لا يُخيبُ سائلَهُ
جَوهرُهُ غيرُ جَوْهرِ البشر
مالكَ بالتُّرَّهـات مشتغلاً
أفي يديك الأمانُ من سَقَر

الظفر: الفوز ، الغير: الأحداث والخطوب ، الترهات: سفاسف الأمور التافه، سقر: النار .

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة تكريس هيكل القديس الشهيد العظيم جوارجيوس في مدينة لد

«لنمتدحنَّ حارث المسيح البطل بين الشهداء. جوارجيوس كاروز الحقّ الحكيم. وغرسة كرم المسيح الحيَّة على الدوام التي أينع ثمرها. فَدَرَّ سُلافَ حُسن العبادة الذي يسرُّ الذين يقيمون تذكاره كلَّ سنة عن إيمان.»

هكذا يصرح مرنم كنيستنا المقدسة.

أيها الأخوة الأحباء. أيها المؤمنون، والزوّار الحسنيّو العبادة.

إنّ كنيستنا المقدسة، وخاصّة الكنيسة الأورشليميّة، تعيِّد اليوم، ذكرى تدشين هذا الهيكل الشامخ والتاريخي، للقديس جوارجيوس المظفّر العظيم في شهداء المسيح، حيثُ بني هذا الصرح زمن الإمبراطور الرومي المعادل الرسل قسطنطين الكبير.

وقد حظيَ القبر الفارغ المتواجد في هذا الهيكل، ليكون موضع راحة لرفات القديس جوارجيوس الذي نُقلَ إليه بإكرام وإجلال وتوقير. حيثُ نقوم اليوم بتذكار تكريس هيكل القديس الشهيد العظيم جوارجيوس في مدينة اللد، أي نقل جسده ووضعه فيه.

إنّ هذا القبر، هو ينبوعُ عجائب كثيرة، فمنهُ تحدثُ عجائبٌ باهرةٌ، تُعطَى لأولئك القادمين إلى القبر بإيمان صادق وقويم، أذ يحصلون على هذه النعَم الإلهيّة التي تسكبها العناية الإلهيّة، فاللّه بمعرفته غير المحدودَة يمجِّد كلّ الذين يمجدونه.

القديس جوارجيوس، أصبَح شهيداً عظيماً، وكاروز الحقّ لإنجيل المسيح لأنّه «لم يخجل بشهادة ربّنا يسوع المسيح... الذي أبطَلَ الموت، وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل» (٢تيمو١:٨ و ١٠).

إنّ القديس جوارجيوس، القائد المقتدر في الجيش الروماني، حصَل على الإستنارة الروحيّة بالإيمان المسيحي المستقيم الرأي، حيث قاوَم عبادة الشياطين المتمثلة بعبادة الأصنام، وتبنّى عبادة الحقيقة بالمسيح، مدافعاً عنها حتى إكليل الشهادة بإراقة دمه الكريم في سبيل هذا الإيمان الوطيد. وهكذا فقد شابهَ **القديسُ** جوارجيوس بإيمانه **القديسَ** بولسَ الرسول القائل: «بل إنّي أحسبُ كُلَّ شيء أيضاً خسارةً من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرتُ كلَّ الأشياء وأنا أحسبها نُفايَةً لكي أربح المسيح» (فيلبي ٣:٨).

غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث

إن القديس جوارجيوس أصبح كاروز الحقّ الحكيم وغرسة كَرْمِ المسيح الحيّة، أي كنيسته.

نقول كنيسته (كنيسة المسيح)، لأنّ المسيح هو الحقيقة المتجسّدة، فهو كلمة اللّه العامل بواسطة الكنيسة بروحه القدوس، داخل تاريخ الكنيسة والبشريّة قاطبة. فتاريخ البشرية يتميّز من خلال هذا العالم المخلوق، المحدود والمتلاشي، وأيضاً يتميّز بالتاريخ المقدّس. فالتاريخ المقدّس هو تاريخ الكنيسة بعهديها القديم والجديد، الذي يشمل جميع الشهداء والقديسين والنساك والحسني العبادة المسيحيين.

فالتقليد الرسولي والتعليم العقائدي للكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية، كنيستنا، أم كلّ الكنائس، تدعونا لأن نلبس سلاح اللّه الكامل، ضد جرثومة التشويش، والحيرة، والفوضى في هذا العالم الغاش، من أجل الحفاظ على سلامة نفوسنا في زماننا الحاضر كما يكرز الرسول بولس الإلهي:

«يا إخوتي ... البسوا سلاح اللّه الكامل، لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإنّ مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشرّ الروحيّة في السماويات» (أفسس ٦:١٠-١٢).

هذا السلاح (سلاح اللّه الكامل) لَبِسَهُ جميع قديسي كنيستنا وجميع الذين نالوا إكليل الشهادة من أجل محبتهم للمسيح الإله. الذين حملوا نير المسيح بصبر كبير، كما يقول الرسول الإلهيّ: «وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون أمّا الأشرار والمغوون من الناس فيزدادون شرّاً مُضلّين ومُضلّين» (٢تيمو٣:١٢ ـ ١٣).

إحتفالنا بتذكار الشهيد العظيم جوارجيوس ولجهاداته بشكل عام، أيها الأخوة الأحباء بالمسيح، لا يقتصر قطٌ على الماضي الزمني والتاريخي لهذا الجهاد. لكن تذكار حدث إستشهاده يرتبط في كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

نقول هذا لأنّ هؤلاء الناس المُهَجَّرين، الذين أُجبروا على الخروج قَسراً من أراضيهم وبيوتهم، ومن أرض آبائهم وأجدادهم، يُعتَبرون أقربائنا بالبشريّة، مازالوا يُضطهدون بشكلٍ كبير، فكثيرٌ من الشهداء والقتلى، الأبرياء والضعفاء،

الأطفال والشيوخ والشبان، لقوا حتفهم من جراء هذه الإنتهاكات البشرية الظالمة ؛ وخاصة إخوتنا الذين يمتلكون نفس العقيدة والتفكير، القاطنين عن قرب وعن بُعد من منطقتنا، كما يقول الرسول بولس: « .. كغرباء ونُزلاء ...» (١ بط ٢:١١). هذا للأسف هو واقع حياتنا الذي لا يستطيع أحدٌ أن يُنكره، هذا الواقع يدعم صحّته كلام الإنجيل المقدس ، كما يذكره الإنجيليّ يوحنا: « بل تأتي ساعةٌ فيها يظنُّ كُلُّ مَن يقتلكم أنّه يُقَدِّم خدمة للّه» (يو ١٦:٢). وبطريقة جليّه نقول: ﴿ تأتي ساعة يحسبَ فيها أنّ كلّ من يقتل أحد هؤلاء المؤمنين ، يظنّ في نفسه ـ وبشكل خاطىء طبعاً ـ أنّه يقدّم قربان تضحية للّه ـ حسب ظنّه الباطل ـ معتبراً جريمة القتل النكراء هذه ، تقدمة عبادة للّه ﴾.

ويقول القديس كيرللس الإسكندري:ـ « يفكرون ، أنّ الموت المصَوبّ نحوكم ، يعتبر فريضة للعبادة المحبوبة من اللّه، أو التي يستحسنها اللّه، حسب ظنّهم الخاطىء» ، لكن أيها الخطأة: اللّه قد قال في وصاياه السماوية **لا تقتل** !!!

إنّ الشيطان الماكر والخبيث ، يستعمل لباس التقوى، غطاءً لأساليبه المدمرة والقاتلة، كأنّه يقوم بخدمة للّه . وهذا ما نراه اليوم بشكل واضح، فكثيرٌ من المرّات فإنّ المخرّبين المتشدّدين ضد الحقيقة بالمسيح، جلسوا في هيكل اللّه، كما يقول الرسول بولس الحكيم: «المقاوم والمرتفع على كلّ ما يدعى إلهاً أو معبوداً، حتى أنه يجلس في هيكل اللّه كإله» (٢ تسالونيكي ٢:٤). لهذا السبب أيضاً لا يفوت مرنّم الكنيسة أن يسبح بطريقة تمجيديّة القديس العظيم في الشهداء جوارجيوس قائلاً:

«لقد هزمتَ وَبَدَّدتَ بعصا اقوالك الشريفة جماهير الشياطين. وأعتقتَ من أذاهم قطعان المؤمنين. يرنّمون قائلين: باركوا الربَّ يا جميع اعماله وارفعوه إلى كل الدهور». وكذلك يرنّم قائلاً: «لقد أطفأت بسواقي دمائك لهيب الضلالة أيها المجاهد الظافر جوارجيوس المغبوط. وحطّمتَ بأس الحكّام المَرَدَة ووقاحتهم الى النهاية. ومجّدت المسيح. فنلت إكليل الحياة والخلود من يمين العليّ».

هذا هو أيضاً أيها الإخوة الأحباء ، هدفُ كنيستنا المقدسة ، أن تؤهّل ابنائها ليكونوا مستحقين لنوال إكليل الحياة والخلود (من يمين العليّ)، وهدفها أيضاً: التنظيم في سلك القديسين ، الإرشاد إلى ميناء الخلاص، والتمتع بالنور الذي لا يغيب. لكي نحظى بهذه الرُتب السماوية، تقودنا الكنيسة في روضة الفضائل الروحيّة الساميّة ، فتقدم لنا فرائض الصوم والصلاة المستمرة ، ونقاوة النفوس وطهارة عقولنا نحن المؤمنين أعضاء الكنيسة جسد المسيح، لهذا فالقديس بولس الإلهي يأمرنا قائلاً: «إسهروا. اثبتوا في الإيمان، كونوا رجالاً، تقووا.» (١كور ١٦:١٣). «واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر ، مصلّين ... اسلكوا بحكمة من جهة الذين من خارج. مفتدين الوقت.» (كول ٤:٢-٥).

نتضرّع إلى القديس جوارجيوس الذي نحتفل بتذكاره الموقّر، ومع المرنم نقول: «لقد تسلّمتَ بعلامة الصليب أيها المجاهد جوارجيوس المتأله اللبّ. فحطمت بها بشجاعة كلَّ قوّة الحكام المتمردين. مناضلاً عن الإيمان. وفضحت كلّ كفر عبادة الأوثان. وَثَبَّتَ المؤمنين في الإيمان. فنلت بجهادك اكليل الظفر من يَد **رَبِّك** عن استحقاق، فتشفّع إلى المسيح الإله. طالباً ان يهب غفران الزّلات للذين يُعَيِّدونَ بلهفَة لتذكارك المقدّس.»

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

نقل رسم القديس جاورجيوس من دير فانويل الى دير زوغرافو في الجبل المقدس (آثوس)

خلال حكم الملك لاوندس الحكيم (٨٨٦-٩١٢م) , كان هناك ثلاثة اخوة بالجسد (موسى، آرون، باسيليوس) من بلدة (إخريذا) هؤلاء الأخوة قرّروا ان يعيشوا حياة رهبانية فانطلقوا الى الجبل المقدس مكان وجود دير زوغرافو الحالي. وبعد حياة روحية جهادية عجيبة وصبر، ذاع صيتهم وفضيلتهم فبدأ العديد من المؤمنين يلجأون اليهم. وقرروا بناء دير كبير وكنيسة تتسع لجميع الرهبان. بعد الانتهاء من البناء اختلفوا فيما بينهم الى اي قديس سوف تسمى هذه الكنيسة، فقال بعضٌ منهم القديس (نيقولاوس) والبعض القديس (كليمندوس) رئيس كهنة (إخريذا) وبسبب تعدد الآراء وعدم الاتفاق بينهم قرروا ان يُصلّوا الى اللّه حتى يظهر لهم القديس الذي يريده ان يكون شفيعاً للكنيسة على الخشبة الفارغة .

واثناء صلاتهم في الليل انير ضوء في الكنيسة بصورة مفاجئة، فخاف الرهبان وكلهم بقدر خوفهم بقوا يصلون في الليل، وفي الصباح ذهبوا الى الكنيسة ليروا ما حدث، فشاهدوا في مكان الخشبة الفارغة رسمة ايقونة القديس جوارجيوس اللابس الظفر، ولهذا الحدث سمي الدير (زوغرافو) او القديس جوارجيوس. وهذه الأيقونة كانت مرسومة في دير فانوئيل في سوريا, وكما يقول رئيس الدير الاب افستراتيوس: ذات مرة شاءت ارادة اللّه ان يعاقب المسيحيين في سوريا وفلسطين، ففي دير فانوئيل بينما كان الرهبان يقومون بالخدمة في الهيكل اختفت فجأة رسمة ايقونة القديس جوارجيوس عن الخشبة التي كانت مرسومة عليها فبدأ الرهبان يصلون الى اللّه، لان يُظْهر لهم مكان اختفاء الأيقونة فسمع اللّه صلاتهم, فظهر القديس جوارجيوس الى رئيس الدير وقال له: «**وقع غضب الرب على المسيحيين في تلك المنطقة ، كونهم لم يعملوا مشيئة اللّه فمنهم من سوف يسلب او يقتل ، فوجدت مكانا لي في الجبل المقدس ، واذا اردتم اذهبوا انتم الى هناك**»، فجمع رئيس الدير الرهبان وقص لهم ما حدث، وهكذا بدا الرهبان بالذهاب من اللد الى الجبل المقدس بعد سجودهم الى قبر القديس جوارجيوس.

الكهنوت وصفات الكاهن

للقديس
مكسيموس
المعترف

يجب ان يكون الكاهن قدّيساً نفساً وجسداً، وعمود نور ينير الكنيسة التي هي شعب اللّه، وأن يكون أنقى من أشعة الشمس لئلا يتركه الروح القدس مقفراً. إن الكهنوت يصير على الأرض إلاّ إنّ له رتبة الطغمات السماوية. فانَّ لا ملاك ولا إنسان ولا قوَّة أخرى مخلوقة تستطيع أن تجريه وتتمّه بل الروح الكليُّ قدسه هو في الخدمة بنفسه. والكاهن إنّما يتمّم خدمة الملائكة. لأجل ذلك يجب على كل الحائزين على درجات الكهنوت المختلفة أن يتصوَّروا وهم يكملون الخدمة أنّهم واقفون مع الملائكة في السماء أمام اللّه.

ولذلك يطلب منهم أن يكونوا طاهرين أنقياء كالملائكة. أما علمتم أنه لولا مؤازرة نعمة اللّه مؤازرة عظيمة لما استطاعت نفس بشرية قطُّ أن تصمد أمام نار تلك الذبيحة الهائلة! لإنه إن كان ليس في استطاعة أحد أن يعرف ماهية الإنسان المركّب من لحم ودم، فكيف يمكن الدنوُّ من الطبيعة المغبوطة المتفوّقة في الطهارة والنقاوة؟ من يتأمّل في هذه الحقائق يستطيع أن يُدرك تمام الإدراك مقدار الكرامة التي للكهنة والتي إنما أُهّلوا لها بنعمة الروح القدس.

فالكهنوت خدمة جليلة سماوية إلهية. هكذا احتسبه الآباء القديسون المتوشحون باللّه فوقّروه جداً واحترموه وقالوا إنه لا يجب ولا يليق أن يُمنح إلاّ للقديسين فقط. ولذلك يجب على كل كاهن أن يمتحن نفسه فإذا رأى أنه غير مقدَّس وغير طاهر فليندم ويتب بدموع حارَّة. وإلا فليهرب بعيداً من الخدمة لئلا يحترق نفساً وجسداً.

ثم إن الكهنوت هو بهذا المقدار أعلى وأجلّ من الملُك بمقدار الفرق الموجود بين النفس والجسد. فيجب على الكهنة الذين يمارسون الخدمة الكهنوتية الرهيبة أن يبذلوا جهدهم في تطهير نفوسهم حتى من أحقر وأقلّ التخيُّلات النفسية ومن ثم يقدمون على الخدمة. متشبهين على قدر استطاعتهم بالساروفيم والشاروبيم.

يوجد بعض الكهنة لا يسلكون بمقتضى القوانين والشرائع الإلهية لا قولاً ولا فعلاً ولا فكراً لكنهم مشغوفون بمحبة المجد والشرف **ولا هَمَّ لهم إلاّ أن يحترمهم الناس ويبجلونهم.** ولكن أمثال هؤلاء الكهنة ولسوء الحظ لم ولن يستطيعوا أن يخلّصوا لا أنفسهم ولا غيرهم. آخرون صاروا كهنة لأنّهم كسالى ولا طاقة لهم على الشغل والعمل اليدوي ولم يستطيعوا أن يدبّروا أمور معيشتهم. وهنالك آخرون دون أن يقدّروا عظم الضرر الذي قد يلحق بالكنيسة، ودون أن يدركوا عظم أهمية هذه الخدمة الإلهية، قد تجرَّأوا على الدخول إلى المذبح المقدس دون أن يكونوا حائزين على شيء من المؤهلات من علم وأدب وأخلاق.وإذ لم يقدروا أن يقدّروا هذا السرّ الرهيب حقَّ قدره راحوا يزعمون أنّ الكهنوت إنّما هو جرأة وجبروت. آخرون كانوا فاضلين أتقياء أعفّاء إلى درجة القداسة ولكنّهم لما ارتقوا إلى درجة الكهنوت اعتزُّوا بهذه الرتبة فوضعوا كل ارتكانهم عليها وكل ثقتهم بها فَخُدِعُوا وتراخت عزائمهم وتهاونوا في ممارسة الفضائل التي كانوا يمارسونها قبلاً، بل توغلوا في الملاذ وارتكبوا الذنوب فعوقبوا عقاباً شديداً. بينما هناك آخرون يخدمون المذبح بتواضع وبضمير طاهر فيحظون بالمكافأة من الرب لقاءَ ذلك.

فمن يخدم عن غير استحقاق هو **يهوذا ثان. وهو خائن.** لان داثان وابيرام قد انشقَّت الأرض وابتلعتهما حيين،لانهما تجرَّأا على التبخير في هيكل الرب عن غير استحقاق، فكم بالحري يكون اكثر إجراما من يطأ جسد المسيح المخلّص ودمه! لا مراء أن مثل هذا سوف يُعاقب بأشنع العقوبات ويُقاصُّ بأشدَّ القصاص.

فالكاهن الصالح الحقيقي يجب أن يكون تقياً, حكيماً, محباً للتعليم, متواضعاً, غير مدمن الخمر, ضابطاً نفسه ولسانه, غير حقود, ولا بخيل, بل رحيماً, محباً, وعلى الخصوص للغرباء. يجب أن يكون محباً للجميع كباراً وصغاراً ومسالماً الجميع. وأن لا يأخذ رباً ممن يقرضهم وان لا يجدّف ولا يحرم ولا يلعن، ألاّ يكون تاجراً لئلا ينطق بالكذب، ألاّ يدخل مع آخرين في مخاصمات ومنازعات، ألاّ يتعظم ويستكبر، ألاّ يستعمل الهزل ليضحك الآخرين، ألاّ يكون مهذاراً وألاّ يتكلم إلاّ بالكلام المفيد والنافع لسامعيه مسترشداً بآيات الكتاب الإلهي، ألاّ يكون شرهاً ولا شهوانياً لئلا يحزن الروح القدس. وان لا يجاوب سائليه بغضب ونزق بل بروح التواضع نحو الجميع، ألاّ يتبرَّج ويتزَّين، أن لاً يحسد نجاح الغير، أن يسامح من يشتمه من كل قلبه أمام الجميع وقبل غروب الشمس، أن يفحص الذين يسقطون في الخطايا بوداعة ويوبّخهم بمخافة اللّه. لا يجب أن يكون عثرةً أو سبب شك لأحد غنياً كان أو فقيراً.

جميع هذه الأمور التي ذكرناها يجب على الكاهن أن يحافظ عليها بكل دقَّة وبغاية الانتباه ليتسنّى له بدالّة وبقلب طاهر أن يعلّم آخرين أيضاً. فان تهاون بما ذكر ولم يحفظه جيداً لفائدة الذين يتعلَّمون منه وبنيانهم فالأوفق له أن يعلِّق في عنقه حجر الرُّحى ويزجَّ في البحر لأنه خالف ناموس المسيح واستهان بتعليم كهذا .

تذكار القديس يعقوب أخي الرب

للقديس نيقوديموس الآثوسي

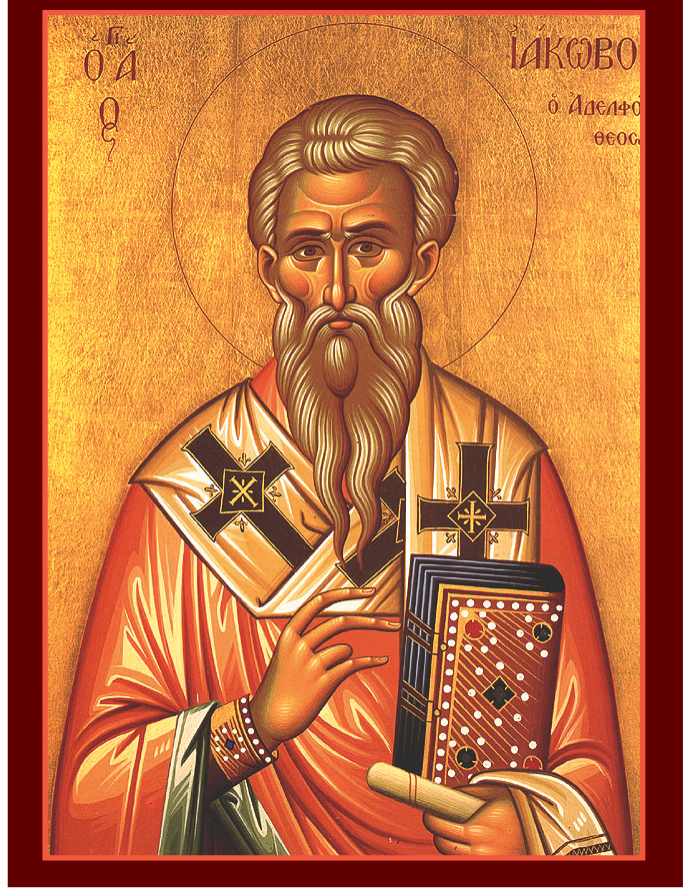

الإصحاح الأوّل

«من يعقوب عبد اللّه والرّبّ يسوع المسيح إلى الأسباط الاثني عشر الذين في الشتات سلامٌ» (١:١)

مباشرة في المقدّمة يذكرُ القدّيس يعقوب اسمهُ ليبيّن من جهة مَن هو صاحب الرّسالة، وليُعطي من جهة أخرى ثقةً أكبر للذينَ سوفَ يقرؤونها. لقد كان بطرس وبولس يذكران اسميهما في الرّسائل.

لم يسمِّ القدّيس يعقوب نفسه رسولاً وذلك بسبب تواضعه. وحسب ثيوفيلكتوس وإيكومانيوس. قال إنّ الآب هو اللّه ويسوع المسيح هو الربّ، ودعا نفسه عبد اللّه حسبَ قول النبيّ أشعياء: «ها إنّ عبيدي يأكلون وأنتم تجوعون» (أش٦٥:١٣). هو عبدُ اللّه وعبدُ يسوع المسيح كونُ الربّ يسوع المسيح متساوياً مع الآب في الكرامة والجوهر.

كان بولس يكتب «بولسُ عبدُ يسوع المسيح» (رو١:١) ، وبطرسُ «سمعان بطرس عبد ورسول يسوع المسيح» (٢بط ١:١).

يهدي الرّسول يعقوب السّلام إلى الإثني عشر سبطاً الذين في الشّتات. يقول القدّيسُ غريغوريوس اللاّهوتي: إنّ اليهود تشتّتوا بعد أن أسرَ **أنطيوخوس** أورشليم. أمّا القدّيس ميتروفانس أسقف أزمير فيقول: إنّ الرّسل الإلهيّين يتذكّرون النّبوءات التي تلفّظَ بها الربّ ضدّ أورشليم إنّها سوف تؤسَر على يد الرومان ولَن يبقى حجرٌ على حجر. هذا ما سوف يحدثُ في الجيل الحاضر .

لذا أوصَى الرسلُ المسيحيّين من أصل عبرانيّ أن يرحلوا من أورشليم قبل معاينة مثل هذا الخراب. فذهب هؤلاء إلى أمم كثيرة وعاشوا فيها غربــاءَ مُعَرِّضين لتجاربَ عدّة. لذا يكتبُ إليهم القدّيسُ يعقوبَ هذه الرّسالة ليعزّيهم في وسط شدائدهم.

«احتسبوا كلّ فرحٍ يا إخوتي أن تقعوا في تجارب متنوّعة » (٢:١)

الجدير بنا ، كما يقولُ القدّيس الشّارح ميتروفانس، أن نعجب من حكمة يعقوب لأنّه يتصرّف كطبيب حكيم. من بداية رسالته يحاول أن يعالج الضدّ بالضدّ. هذا هو قانونُ المهنة الطبيّة. وبدل الشدائد المختلفة التي عاناها المسيحيّون العبرانيّون يُدخلُ إلى قلوبهم الفرحَ الشّامل. لم يقل لقد عانيتُم الأمرَّين من التجاربَ بنفسٍ عاليَة، بل قال: احتسبوا هذه التّجارب فرحاً شاملاً.

يُظهرُ هنا الرّسول، حسب ثيوفيلكتوس وإيكومانيوس، أنّ التّجاربَ هذه تستحقّ الفرح عندما تُعانَى من أجل اللّه. لذلك قال الحكيمُ سيراخ: «يا بنيّ إن أقبلتَ إلى خدمة الربّ الإله أعدد نفسك للتّجربة» (سيراخ٢:١). ويقول الربّ نفسُهُ في إنجيل يوحنا: «في العالم سيكون لكم ضيقٌ ولكن ثقوا لقد غلبتُ العالم» (يو١٦:٣٣).

ويسأل البعض ؛ وإن كان الأمرُ كذلك فلماذا يأمُرنا المسيح بالقول: «ولا تُدخلنا في تجربة» (مت٦:١٣) ؟

يجيب **القديس مكسيموس المعترف** بقوله: التّجارب نوعان: الأولى طوعيّة إراديّة تسبّبُ لذّةً للجسد وحزناً للنّفس، وهي تدفعنا إلى عمل الخطيئة وتُبعدنا عن نعمة اللّه. والثانية غيرُ إراديّة تسبّب الألَم للجَسد واللّذةَ للنّفس.

يتكلّم الربّ عن التجربة من النّوع الأول أي الإراديّة. أمّا القدّيس يعقوب في رسالته فهو يتكلّم هنا عن التجربة غير الإراديّة التي تسبّبُ ألماً للجسد ولذّةً للنّفس. من أجل ذلك يقول الربّ في نهاية الصّلاة: «لكن نجّنا من الشرير». بينما يقول القدّيس يعقوب في الآية ٣: «إنّ إمتحان التجربة يُنشىءُ صبراً» ، ويقول بولس الرسول في هذا الموضوع: «إن كان إنسانُنا الخارجي يفنى، فالدّاخل يتجدّد يوماً فيوماً» (٢كو٤:١٦).

ويضيف ثيوفيلكتس وإيكومانيوس: تحصلُ بعض التجارب بسببنا وبعضُها بسماحٍ من اللّه لكي نُمتَحَنَ ونُكَلَّل. وما يأتي بسببنا له مصدران:

١ ـ منها ما يأتي من تكبُّرنا واعتقادنا أنّنا أقوياء، ويقول الربّ في هذا: «اسهروا وصلّوا لئلاّ تدخلوا في تجربة. أمّا الرّوح فنشيطٌ وأمّا الجسدُ فضعيفٌ» (مت٢٦:٤١).

في البداية عندنا شجاعةٌ لا توصلُ دائماً إلى نتيجة حسنة.

٢ ـ أمّا المصدرُ الثاني فهو التّجارب الآتية من خطايا فعلناها في السّابق، كما حصلَ مع الجبابرة الذين غرقوا والسادوميّين الذين فنوا بالنّار بداعي خطاياهم.

فلا تأتينّ إلى تجربة بداعي التكبُّر. وإذا أتتنا التّجربةُ بسبب خطايانا فلَنا أن نصبرَ ونتوب. أمّا التجارب التي يسمح بها اللّه،

كما حصل مع أيّوب وإبراهيم، فلنا أن نواجهها ونقبَلها لأنّها تُجلبُ لنا الأكاليل. لذلك كلّه تكلّم القدّيس يعقوب عن «تجارب متنوّعة».

«عالمين أنّ امتحانَ إيمانكم يُنشىءُ صبراً» (١:٣)

يُظهر القديس يعقوب ما هي الفائدةُ الحاصلة عند الذين يتقبّلون التجارب بشجاعة وبدون تذمّر: التجارب الآتية بسماحٍ من اللّه إكليلاً للمُمتَحَنين على مثال أيّوب وإبراهيم، وكذلك تلك الآتية تأديباً لنا بسبب خطايانا. تصبحُ التّجربةُ امتحاناً للإيمان ممّا يزيدُنا خبرةً في الإيمان ونقاوةً أكبر، كما يقول إيكومانيوس مُستشهداً بالمزمور: «كالفضّة المُمَحَّصة المُختبرة في بوتقة بالتّراب المصفّاة بالنّار». (مز١١:٧). والامتحانُ هذا يُنشىءُ صبراً. يتقبّلُ المؤمنُ التّجربة بصبرٍ وبشكر ، كما يُضيف إيكومانيوس . أمّا سليمان فيقول: «المذوِّبُ للفضّة والبوتقةُ للذهب ومُمتحنُ القلوب ومُختارُها هو الربّ» (أم١٧:٣).

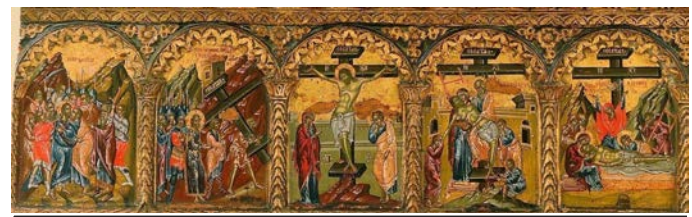

لأنه في ما هو قد تألّم مجرّباً يقدر أن يعين المجرَّبين (عب ٢:١٨)

ويكتب الرسول بولس إلى أهل رومية قائلاً: «إنّ الضّيق يُنشىء صبراً والصبر تزكيةً والتّزكية رجاءً والرّجاء لا يُخزي» (رو٥:٣-٥).

يقول القديس برصنوفيوس: الصبرُ على التّجارب بفرحٍ يُولّد رجاءً لا يخزي، والرّجاءُ باللّه الذي لا يُخزي يخلّصُ صاحبَه.

كما أنّ الرجاءَ الذي لا يُخزي يولّدُ دالةً كبيرةً نحو اللّه،عندها يستجيبُ اللّه لكلّ طلبٍ خلاصيٍّ. هذا ما يقوله الرّسول يوحنا: «إن لم تلُمنا قلوبُنا فلنا دالّـةٌ نحو اللّه، ومهما سألنا ننالُ منه» (١يو ٣:٢١).

«وأما الصبرُ فليكن له عملٌ تامٌّ لكي تكونوا تامّين وكاملين غيرَ ناقصين في شيء» (١:٤)

يقول ثيوفيلكتوس مع إيكومانيوس إنّ يعقوب الإلهيّ لا يقول إنّ الصبر له عملٌ كامل، بل قال «ليكن له عملٌ تامٌّ»، هذا يعني أنّه على المسيحيين أن يصبروا باستمرار وحتى النهاية وفي كلّ التجارب الآتية من الشّيطان، ومن النّاس أو من الطبيعة الفاسدة وضعُفات الجسد. هذا الصّبرُ الكاملُ يخلّصُ الإنسان كما يقول الربّ: «مَن يصبرُ إلى المنتهى يَخْلُص» (مت٢٤:١٣).

عن طريق الصّبر تصبحون كاملين في الإيمان محبّة اللّه. التّامُ، حسب القديس مكسيموس المعترف، هو المجاهدُ عن طريق العفّة في الآلام الطوعيّة، وعن طريق الصّبر في التّجارب الكرهيّة. والكاملُ هو الذي يستمرُّ في العمل بمعرفةٍ ولا يُبقي النظريّة فاعلة (الفصل ٣٤ من الخمس مائة).

ويقول القدّيس يعقوب أخو الربّ فيما يلي: إنّ سبب العمل الكامل هو الحكمة بحسب اللّه، لأنّ امتحانَ الإيمان والصّبر الكامل على التجارب ليس من إنجاز البشر بل يأتي عن طريق الحكمة التي بحسب اللّه. لذلك يَحُثُّ الذين يودُّون الكمال على طلب الحكمة من اللّه.

«وإن كان أحدُكم تنقُصُه حكمةٌ فليطلب من اللّه الذي يؤتي الجميع بسخاء بغير امتنانٍ فيُعطَى» (١:٥)

هذه الحكمةُ تمكّنُهم أن يصبروا صبراً كاملاً في التجارب. لذلك يُقرنُ سليمانُ الحكمة مع التأديب: «لمعرفة الحكمة والتّأديب» (أم١:٢). مَن له الحكمةُ بحسب اللّه يصبرُ حتّى النهاية متقبلاً التأديب بشكر. ويشرح **القديس باسيليوس الكبير** العبارة قائلاً: بمعرفة التّأديب والحكمة هذه يتقبَّلُ الواحدُ الألمَ المفيدَ للنّفس. هذا ما يقولَه تقريباً القديسُ ميتروفانس. يقولُ رُبَّ قائل: مَن يستطيعُ أن يتحمَّل التّجاربَ بصبر كامل وبفرح ؟ ويجيب: لذا وَجَبَ علينا اقتناءُ حكمة كبيرة لمحاربةِ التّجارب وتخطّيها.

أما بالنسبة إلى العبارة «بغير امتنان» فيُفسرها القديس ميتروفانس بقوله: اللّه لا يُعَيِّرُ المتقبِّلين منه الحكمة الإلهيّة لأنه يعرفُ أنّنا نحاربُ لا بأسلحتنا وننتصرُ بقوّة اللّه على العدوّ. لا يُعَيِّرنا بل يُكَلِّلنا منتصرون بقوّتنا الخاصّة.

«ولكن ليطلب بإيمانٍ غير مُرتاب في شيء» (١:٦أ)

ليطلب بثقة بدون إرتياب أي بدون شكوك. إن كنتَ تؤمنُ أنّ اللّه قادرٌ على الإستجابة لطلبك لا تطلبْ الحكمة الكليَّة بل حاول أوّلاً أن تطردَ من نفسكَ هذا الضعفُ في الإيمان وبعدَها تلجأُ إلى الطلب. قال الربّ: «كلُّ ما تطلبونه في الصّلاة مؤمنين تنالونه» (مت٢١:٢٢).

«فإنّ المرتابَ يشبهُ موجَ البحر الذي تسوقُهُ الرّيحُ فيتخبّط. فلا يظنُّ مثلُ هذا الإنسان أنّه ينالُ من الربّ شيئاً» (١:٦ب-٧)

المرتاب حسبَ ثيوفيلكتوس وإيكومانوس هو الذي يفصلُ نفسَهُ عن حقيقة الأمر ويتردَّدُ في السؤال إن كان الأمرُ صحيحاً أم لا. يشبهُ موج البحر، يتردّد بين الإيمان باللّه وعدم الإيمان به. لذا لا يحصلُ على الحكمة المطلوبة لأنّه حسبَ سليمان الحكيم في سفر الحكمة: «إنّ الحكمة لا تَلِجُ النّفس السّاعية بالمَكر» (حك ١ : ٤).

«إنّ الرجلَ ذا النفسَين متقلقلٌ في جميع طُرُقه» (١:٨)

الإنسانُ ذو الرأيَين هو الضّائع، غيرُ ثابت، بطّالٌ ومرائيّ «في جميع طُرُقه» أي حركات النّفس التي يرتبطُ بها رأيُ الإنسان، وقد قال داود للّه: «وسَبَقتَ وعرفتَ جميعَ طُرُقي» (مز١٣٨:٣)، أي تحرُّكات النّفس كلّها.

وكذلك الإنسانُ ذو الرأيَين هو الذي يتأرجحُ بين الأرضيّات والسّماويّات. هنا «الرّأيُ» هو النّفسُ أو الحياةُ كما ورد عند أيوب: «كلُّ ما يحوزُهُ الإنسان يبذُلُهُ عن نفسه» (أي٢:٤) أي عن حياته. إذاً لا نفتكرنّ هكذا قائلين: كيف نستطيعُ أن ننال طلَبَنا من اللّه ونحن خطأة ؟ لنعترف للّه ونَعُدْ إليه ونطلب منه ما هو مفيدٌ لخلاصنا

باستمرار وبتواضع فنكتشفَ تحنُّنه لأنّ اللّه لا يردُّ من يعود إليه تائباً.

يقول النبيُّ هوشع: «تقسَّمت قلوبهم فالآن يُعاقَبون» (هو ١٠ : ٢)، أمّا سليمان فيُعلن: «اعتقدوا خيراً والتمسوه بقلب سليم. فإنّما يجدُه الذين لا يجرِّبونه ويتجلَّى للذينَ يؤمنون به» (حك١ : ١-٢). وأيضاً: «ويكشفُ الربّ خفاياك ... لأنّك لم تتوجّه إلى مخافة الربّ لكنَّ قلبكَ مملوءٌ مَكراً» (سيراخ١:٢٨). «ويلٌ للقلوب المُتمرِّدة وللأيدي المُتراخية وللخاطىء الذي يمشي في طريقَين. ويلٌ للقلب الملتوي إنَّه لا يؤمنُ لذلك لا حماية له» (سيراخ ٢:١٤-١٥).

«ليفتخر المتواضعُ بِعُلُوّه» (١:٩)

يعلّمُ القدّيس يعقوب أنّ التّواضع هو خزانة الفضائل كلِّها وبدونه لا نحصلُ على أيِّ خير، لذلك يقول ليفتخر كلُّ مسيحيّ متواضع بعلوّ فضيلته لأنّه حسبَ إيكومانوس «كلّ خير يحصلُ من التواضع بحسب اللّه» ، ويقول الربّ: «الذي يضعُ نفسهُ يرتَفع» (لو١٤:١١) على مثال العشّار، ويقول القديس غريغوريوس پالاماس: «عندما تواضع الربّ وصار إنساناً أظهَرَ لنا طريق ارتفاع سام هو التواضع». بينما تكبُّر الإنسان يقودُ إلى الهلاك على مثال الفريسيّ. يقول القديس ميتروفانس إن العُلُوّ هنا هو اللّه الرافع المتواضعين. اللّه هو علوّ المتواضعين، مجدُهُم وفخرُهُم. يقولُ الرسولُ بولس: «المفتَخرُ ليفتخرُ بالربِّ» (١كو١:٣١).

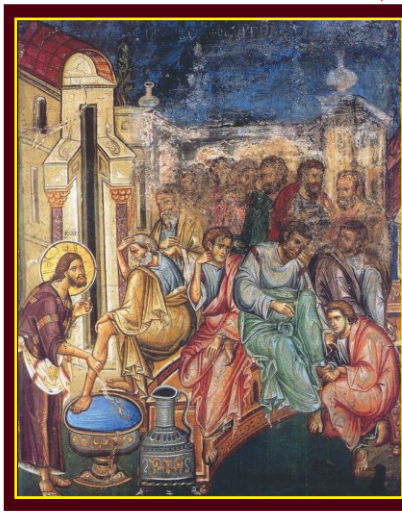

المسيح كلمة اللّه الساكن في النّور الذي لا يُدنى منه، تواضع من علوّ مجده ليصير في شبه البشر، طفلاً مقمطاً في مغارة، حمل أوجاعنا وآلامنا حتى الموت على عود الصليب المحيي؛ ونراه الآن في قمة التواضع يغسل أرجل تلاميذه مقدّماً لهم ولنا قدوة ومثالاً عن المحبة وعمقها ، وعن فضيلة التواضع وسموّها.

«وأمّا الغنيُّ فبتواضعه فإنّه يزولُ كزهر العشب. أشرقت الشّمس بالحرِّ فَيَبِسَت العَشبَ فسقط زَهرُهُ واضمحَلَّ رونَقُ وجهه. كذلك الغنيُّ يذوي في مساعيه» (١:١٠-١١)

يشَبّه القدّيس يعقوب أخو الربّ الغنيَّ بزهر العشب، مُشيراً بذلكَ إلى أنّ الغنى عابرٌ وقتيٌّ. وقد دعا مَظهَرَ العشب (سطحَهُ) وجهاً كما قال الرَّبُّ: «وَجهُ السماء والأرض» (لو١٢:٥٦). سوف يذبُلُ الغنيُّ مثلَ زهر العشب كما يقول أشعياءُ النبيُّ: «كلُّ بَشَر عشبٌ وكلُّ مجده كزهَر الصحراء. العشبُ قد يبسَ وزهرُ سقَطَ ... وأمَّا كلمةُ إلهنا فَتَبقى إلَى الأبد» (أش ٤٠:٦-٨).

يقول كاتب المزامير: «الإنسانُ كالعشب أيَّامُهُ وكزهر الحقل كذلك يُزهر» (مز١٠٢:١٥). قال كزهرِ الحقل لأنّ هذا الأخير يذبلُ بسرعةٍ وتدوسُهُ النّاس والحيوانات.

يذبُل الغنيُّ في مساعيه كالزَّهر. وحسبَ إيكومانيوس يكون الغنيُّ ناجحاً فيتحوَّل فجأةً إلى حالة مُحزنة. ويقول القديس ميتروفانس: عندما يُزهِر الغنيُّ لامعاً بالمجد فجأةً يذوي ناهياً حياتَهُ ميتاً.

ويدعو هنا أخو الربّ «غنيّاً» ذاك الذي يتفاخرُ بغناهُ والذي يسقُط في النّهاية من جرى غناهُ وتكبُّره. فليفتخرْ الغنيُّ بتواضعه أي بذكر الموت بأنّه إنسانٌ ترابيٌّ. مثلُ هذا التّواضع يصيرُ فخراً وعُلُوّاً بالنّسبة إليه.

«طوبى للرّجل الذي يصبرُ على التجربة. لأنّه إذا زُكِّيَ ينالُ إكليلَ الحياة الذي وعَدَ به الربّ الذين يحبّونه» (١:١٢).»

(١:٩)

ذكرنا سابقاً حسب المفسِّر ثيوفيلكتس أنَّ سبَب التّجارب اثنان: من خطايانا أو من أجل إمتحاننا، وفي كلتا الحالَتين علينا أن نصبر. لَذلك يقول القدّيس يعقوب بشكلٍ عام: «طوبى للرّجل الذي يصبر على التّجربة».

ويضيفُ الشارحُ ثيوفيلكتوس: لقد أوصَى الربّ تلاميذه قبل الصّعود أن يتوسَّلوا إلى اللّه حتّى لا يدخلوا في تجربة، وذلك لأنّه عارفٌ وناظرٌ إلى ضعف طبيعتنا البشريّة المريضة، لذلك يوصي القدّيس يعقوب أخو الربِّ المسيحيّين بألاَّ يخافوا من التّجارب. جاء في سفر أيّوب «طوبى للرّجل الذي يؤاخذُهُ اللّه، فلا تنبُذَنَّ تأديبَ القدير فإنّه يجرحُ ويعصبُ ويضربُ ويداه تشفيان» (أي٥: ١٧ – ١٨). ويقول الربّ نفسه: «طوبى للمُضطهَدين من أجل البرّ فإنّ لهم ملكوت السموات. طوبى لكم إذا اضطهدوكم وعيَّروكم وقالوا عليكم كلَّ كلمة سوء من أجلي كاذبين» (مت٥:١٠-١١).

«فإذا زُكِّيَ» أي إذا صَبَر بشكر غُفِرَتْ خطاياهُ إذا كانت التجربةُ للتأديب من أجل الخطايا السّابقة، وتكلَّل إذا كانت التّجربةُ للامتحان كما حصل مع أيُّوب وابراهيم، حسب إيكومانيوس. يكتبُ النّبيُّ زخريّا عن هذا الإكليل قائلاً: «الإكليلُ يكونُ للذينَ يصبرونَ والذين يعرفونَ السلام» (زخ ٦:١٤ بحسب الترجمة السبعينية)، هذا ما جاء عند المفسّر ميتروفانس، ويقول القدّيس كيرلُّس الإسكندري: «مثلُ المحاربُ الشّجاع كذلك المجاهد من أجل اللّه يكتسي فضيلةَ الصّبر على التّجارب كتلميذ للمخلِّص السّامع كلام الرّسول «طوبى للرّجل الذي يصبرُ على التجربة وإذا تزكّى ينال إكليل الحياة».

«لا يَقُل أحدٌ إذا جُرِّبَ إنَّ اللّه قد جرَّبني» (١:١٣ أ)

لومُ النّفس هي فضيلةٌ كبرى مفيدةٌ جداً للنّفس. لذلك يحثُّ القدّيس يعقوب المسيحيين إلى مثل هذه الفضيلة. لا تقلْ إذاً إذا جُرِّبتَ إنّ اللّه قد جرَّبني وإلاَّ تتشبَّهُ بآدم الذي لم يعدْ باللوم إلى نفسه عند العصيان بل قال: «المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلتُ» (تك٣:١٢). وأيضاً عندما تقول «**إنّ اللّه قد جرّبني**» تقعُ في التكبّر وتبدأ تتذمَّر ولا تتحمَّل ولا تصبرُ فتتعذَّب مُضاعفاً، كما يقول القدّيس إسحق السريانيّ «كلّ شدّة لا يرافقها صبرٌ يصبح عذابها مضاعفاً» بينما عن طريق لومِ النّفس

تتواضع، تتوب، تتحمّل التّجارب بشكر. فيرفع الربّ التجربةَ أو يخفّفها . لذلك يقولُ الرّسول بولس: «لو كنّا حَكمنا على أنفسنا لما حُكِمَ علينا» (١كو١١:٣١). ويقول القديس أنطونيوس الكبير عن لومِ النّفس: «هذا هو عملُ الإنسان الكبير لكي يتحمّل زلّته أمام اللّه وينتظرَ كلَّ تجربة حتّى آخر نفس من حياته». ويقولُ القديس بيمن في كتاب الشيخ: «الذي يلوم نفسَهُ في كلّ شيء يبقى ناجياً ولا يضطربُ أبداً».

«فإنّ اللّه غيرُ مجرّب بالشّرور وهو لا يجرِّبُ أحداً» (١:١٣)

يقول أحدُ الفلاسفة: اللّه غيرُ الفاسد، المغبوطُ لا يعرفُ التجاربَ أو الاضطرابَ كما لا يعطيها للآخرين. لأنّ التجاربَ ترتبطُ بطبيعة البشر الفاسدة الخاضعة للتّحوُّل.

يقول القديس ميتروفانيس: اللّه بطبيعته كليُّ الصّلاح لذلك لا يخضعُ للتجربة ولا يجرِّبُ أحداً حاثّاً إيّاهُ إلى الأعمال الشرّيرة. «لا تقدر شجرةٌ جيّدة أن تصنعَ أثماراً رديّة» (مت٧:١٨).

إذاً، يسألُ الواحدُ لماذا امتحنَ اللّه إبراهيم ؟ ويجيبُ ميتروفانيس القديسُ : لم يمتحنهُ من أجل الشّرّ كما يحصل مع الشّياطين وبعضُ النّاس الذين يحاولون عن طريق التّجربة أن يفصلوا الآخرين عن اللّه، بل يحاولُ اللّه، عن طريق التجربة التي يسمح بها، أن يقرِّبَ الإنسانَ إليه. لذا لا تُسمَّى هذه تجربةً بكل معنى الكلمة بل امتحان، تزكية. المجرِّب هو الشّيطان وحدَه (مت٤:٣) وكلُّ مَن تشبَّه به.

«بل كلُّ إنسان تكونُ تجربتهُ باجتذاب شهوته وتملُّقها له. ثمَّ الشهوةُ إذا حَبلت تلدُ خطيئة والخطيئة إذَا تمَّت تُنتجُ الموت» (١:١٤-١٥)

قال القديس يعقوب أخو الربّ سابقاً: إنّ اللّه لا يجرّبُهُ الشرُّ وهو لا يُجرِّبُ أحداً. ويشرح ثيوفيلكتوس ماهيّة التجارب هذه قائلاً: إنها الأفكار الشرّيرة التي تُدخل الإضطراب في النفس. الأفكار الآتيةُ من اللّه لا تُزعج النفس بل تُدخل إليها السّلام وتنيرُها. ثمَّ يُضيف القدّيس يعقوب إنَّ الشهوةَ هيَ التي تجرِّبُ الإنسانَ فتحبَل النفسَ بالشهوة عندما يستجيب الإنسان لها فتلدُ الخطيئة عن طريق اقترافها عملياً، كما يشرح يوحنا زوناراس. والخطيئةُ بدورها تلدُ الموتَ إذ هي بحدّ ذاتها مُميتةً على مثال الزّنى والقتل وما شابه. هكذا فإن الشّهوة تُميتُ الكسالى فلا يقومون بأيّ عمل يدويّ «الشهوةُ الشرّيرةُ تُميتُ لأن اليدين لا تريدان أن تعملا شيئاً» (أم ٢٥:٢١).

هكذا أيضاً شهوة الغنى تقود الإنسانَ إلى الهلاك. «أما الذين يريدون أن يكونوا أغنياءَ فيسقطون في تجربة وفخٍّ وشهوات كثيرة غبيّة ومُضرّة تُغَرِّقُ النّاس في العَطَب والهلاك» (١تيمو٦:٩).

هناك شهوة رديئةٌ وهناك شهوةٌ حسنة. الشهوة الرّديئة تلدُ الخطيئة والموت، أمّا الشّهوة الحسَنة فإذا حبلَت تلدُ الفضيلة والحياة. يقول سليمان الحكيم: «شجرةُ الحياة شهوةٌ صالحة» (أم ١٣:١٢). لذلك دُعيَ النّبيُّ دانيال «رجل الرغائب» (دا٩:٢٣) أي رجُلَ رَغائب الروحِ القدس حسبَ تفسير القدّيس غريغوريوس اللاّهوتي.

يقول القديس كيرلّسُ الإسكندري أنّ معالجةَ الأفكار الشّرّيرة تقطعُ الطريقَ على عملِ الخطيئة التي تأتي من تجاوبنا مَع الأفكار وتنازلنا لها.

«لا تضلُّوا يا إخوتي الأحباء. كلُّ عطيّة صالحة وكلُّ موهبة كاملة هي منحدرة من العلوِّ من لَدُنكَ يا أبا الأنوارِ الذي ليس عندَهُ تغييرٌ ولا ظلُّ دَوَرانٍ» (١:١٦-١٧)

حسب ثيوفيلكتوس العطايا التي نقدّمُها للّه هي غير كاملة لذلك يأتي القديس يعقوبُ بهذا الكلام. أما القديس ميتروفانيس فيقول: ذُكرَ سابقاً أنَّ اللّه ليس سبباً للشّرور لذلك يوضحُ القديس يعقوب إنَّ اللّه لا يجلبُ الشرّ بل هو مصدرُ الخير. «لا تضلُّوا يا إخوتي» أي لا تعتقدوا أنّ الخيرَ يأتي من غير اللّه، لأنّ كلَّ عطيّة صالحة هي من اللّه، وكلَّ إنجاز بشريٍّ من صبر ومقاومة العدوّ يتمُّ بعَون اللّه ونعمته. لذلك لا يفتخرنَّ أحدٌ عندما يعملُ عملاً صالحاً لأنّنا بدون النّعمة الإلهيّة لا نستطيعُ أن نعملَ أيَّ صلاح.

«أبا الأنوار» هو اللّه. الأنوارُ هي القوّات الملائكيّة السّماويّة أو النّاس المستنيرون بالرّوح القدس حسبَ ثيوفيلكتوس. ويقولُ القديسُ ديونيسيوس الأريوباغي مع آباء آخرين إنّ الأنوار تشيرُ إلى الإبن والروح القدس اللذين عندهما الآبُ مصدرُ الألوهة وعلّةُ أقنومهما.

«الذي ليس عنده تغييرٌ ولا ظلُّ دوران» (١:١٧). هذا هو السّببُ الذي يجعلُ اللّه لا يجلبُ الشّرور، هو مصدرُ الصالحات كلّها، لا يتغيَّرُ في جوهره كما يقول النّبيّ ملاخيا: «أنا الربّ إلهكم لا أتغيّر» (ملا ٣:٦).

أمّا التعبيرُ «ولا ظلُّ دوران» فيشير بحسب ميتروفانيس إلى أنّ اللّه «ليس عندهُ تغيير» بل أكثرُ من ذلك ولا شِبْهَ صورة تغيير أو لمحةٌ من الملامح.

«شاءَ فولَدَنا بكلمةِ الحقِّ لكي نكونَ باكورةً من خلائقه» (١:١٨)

حسب القديس ميتروفانيس «ولَدَنا» أي خَلَقنا، كما يذكرُ في سفر أيّوب: «ها للمطر أبٌ (أي خالقٌ) ومن وَلَدَ (أي خَلَقَ) مآجلَ الطَلّ ؟» (أي٣٨:٢٨).

لقد شاءَ فخَلَقَنا أي بإرادته، لا كما يقولُ الملحدون. هو اللّه الذي لا يعرف تغييراً بل يخلُقُنا من العدم عن طريق الكلمة ابنه الخالق معه والمتساوي له في الأزلية.

«لكي نكون باكورة خلائقه» أي أوّلين في الإكرام فيما بينَ الخلائق. وحسب تفسير القديس ميتروفانيس: خلقنا لكي نسودَ على كلِّ الحيوانات الزّحافة والطّيور. يشيرُ هنا إذاً التّعبيرُ «الباكورة» إلى الإنسان، الطبيعة البشرية، باكورة الخلائق المنظورة وغير المنظورة، الحسيّة والعقليّة كما يشرح القديس غريغوريوس اللاهوتي. ويقول ديموقريتوس وغيره من الحكماء إنّ الإنسان هو عالمٌ مُصغَّر *microcosmos* لأنّه يحوي في ذاته أنواع الخلائق كلّها. ■

العناية الإلهية

للقديس يوحنا الذهبي الفم

هذه الأحداث كانت مكسباً غير قليل للكنيسة

شهداء كثيرون عاشوا وماتوا في هذا الرجاء

الفصل الثامن عشر

هذه الأحداث كانت مكسباً غير قليل للكنيسة.

وأنتَ عندما ترى أن البعض قد عثر مما حدث، تفكر أولاً أن عثرتهم لم تأتي مما حدث، بل من ضعفنا ذاته. والذين لم يختبروا هذه المشاعر يظهرون ضعفنا جيداً. ثم فكر في أن كثيرين نالوا بهاءً عظيماً ممجدين اللّه وشاكرين إياه بحرارة رغم هذه الأحداث. لا تنظر إلى مَن زلّوا، بل إلى مَن هم صامدون وغير متزعزعين، وظلوا ثابتين، والذين بهذه الطريقة صاروا أكثر قوة. لا تنظر لمن قد انزعجوا واضطربوا، بل لمن يبحرون عبر العواصف، والذين هم أكثر عدداً من الذين خاروا.

وحتى لو كان عدد الخائرين أكثر، فإن رجلٌ واحد يتمم إرادة اللّه أفضل جداً من ألف يقترفون الشرّ.

الفصل التاسع عشر

شهداء كثيرون عاشوا وماتوا في هذا الرجاء.

١ ـ تَفَكَّر في كل مَن نالوا إكليل الشهادة. البعض منهم جُلدوا والبعض الآخر تمّ اقتيادهم إلى السجن وآخرون قُيِّدوا بسلاسل كفاعلي الشرّ.

البعض طُردوا من وطنهم، والبعض الآخر فقدوا ثروتهم، والبعض هاجر إلى بلاد ما وراء الحدود، والبعض جازوا هذا بالخبرة (عملياً) والبعض الآخر كانوا يتوقّعونه.

٢ ـ في الواقع عندما تمّ إشهار السيف من غمده وعندما شُحذ، وكان كل يوم يتم تهديدهم، والميتات مع كل أنواع العقوبات والعذابات يتم إعدادها، فإنّهم لم ينثنوا ولم يسلموا، بل ثبتوا على الصخرة غير متزعزعين، ومفضلين احتمال كل شدّة على المشاركة في شرِّ مَن قَد تجاسروا على اقتراف مثل هذه الأفعال. ولم يكونوا فقط من الرجال، بل كانوا أيضاً من النساء.

٣ ـ في الواقع إن النساء خاضوا هذه الحرب وتصرفوا بشجاعة أكثر من الرجال، وليس النساء فقط، بل أيضاً الفتيان والفتيات وكل الأطفال الصغار. قُل لي: هل هو شيء هيِّن أن يكون للكنيسة مثل هذا الجمع العظيم من الشهداء ؟ لأن كل هؤلاء كانوا شهداء. فليس الذين تم جرّهم إلى المحاكم وتَلَقّوا أمراً بالذبح ولم يرضخوا له واحتملوا ما احتملوه من آلام، هم فقط الذين يمكن أن يكونوا شهداء، بل أيضاً الذين قَبِلوا (ولو بالنيّة) أن يعانوا أي عذاب في أي مجال إرضاءً للّه. وإن أردتَ أن تفحص الأمر بعناية، فالآخرون أحقّ من الأولين.

٤ ـ لأنه ليس الأمر سيان: فعندما يهدّدونك بالقتل وإهدار دمك، فالقبول بالتألم مهما يكون، أجدر من القتل واحتمال نفس العذاب لأجل منفعة لا تساوي هذا. فليس فقط الذين قد ذُبحوا نالوا إكليل الشهادة، بل أيضاً الذين كانوا مستعدين له والذين كانوا جاهزين لاحتمال هذه العقوبة.

لقد قلتُ سابقاً: الذي قد ذُبح لأسباب أقل أهميّة هو أيضاً شهيدٌ كامل، وسأجتهد لتوضيح هذا بصوت بولس.

٥ ـ بعد أن بدأ بولس الرسول في تعداد مَن تلألأ بين القدماء، إذ ذكر أولاً هابيل ثم وصل إلى نوح وإلى إبراهيم واسحق ويعقوب، فإن بولس الطوباوي استمر قائلاً: « لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا .. الخ» (عب ١٢:١).

٦ ـ لكن لم يُقتَل أحد منهم إلا إثنين أو ثلاثة: هابيل ويوحنا المعمدان، أما كل الآخرين فقد ماتوا ميتة طبيعية. ويوحنا نفسه قُتل، ليس لكونه أُجبر على تقديم ذبيحة فَرض، ولا لأنه سُحبَ أمام صنم (ليسجد له فرَفض)، بل لمجرّد كلمة قالها ولأنه قال: «لا يحل أن تكون لك امرأة أخيكَ» (مت ١٤:٤). سُجِنَ وكان ضحية لهذا العذاب (العقوبة).

٧ ـ إن كان الذي نطق بحكم ضد زواج غير شرعي بأقل مما كان يستطيعه، لأنه لم يقوّم الفعل الشرير المقتَرف، بل فضحه فقط، ولم تكن له قوّة على وضع نهاية له، فإن كان الذي قال مجرّد كلمة، وتوقف عمله عند هذا الحدّ، لأن رأسه كانت قد قُطعَت يُعتبر شهيداً، بل أول الشهداء، فالذين أصابتهم جروحٌ كثيرة، الذين أعدْوا أنفسهم للجهاد ـ ليس ضدّ هيرودس وحسب ـ بل ضد سلاطين الأرض كلها والذين لم يُقاوموا زواجاً غير شرعي وحسب ، بل كانوا متكلفين بالدفاع عن شرائع آبائنا وقوانين الكنيسة أمامَ مَن يحتقرونها، الذين كلامهم وتصرفاتهم أظهرت جسارتهم الواثقة، متعرّضين يومياً للموت، رجالاً وأطفالاً ونساء، ألا يكون من العدل وضعهم في مصاف الشهداء ؟

٨ ـ كما أن إبراهيم، ولو أنه لم يذبح ابنه بالحقيقة، فإنه ذبحه بالنيّة وسمع من السماء هذه الكلمة: «لم تُمسك ابنك وحيدك عني» (تك٢٢:١٢). كذلك ـ في كل أمر ـ عندما تكون النية مُلهمة بالفضيلة ، تنال المكافأة بالتمام.

٩ ـ إن كان إبراهيم ذُكر بمزيد من الشَرف لأنه لم يشفق على ابنه، فالذين لم يشفقوا على أنفسهم، تخيَّل أيّ أجر سينالونه وهم يخوضون مثل هذا الجهاد، ليس لمدة يوم أو يومين، بل على مدى الحياة كلها، وهم مُلاحقين بإهانات وإساءات وتهديدات وتشهيرات، وهذا ليس بالأمر الزهيد. لهذا السبب فإن بولس الرسول بإعجاب شديد يشهد في هذه الحالة فيقول: «...من جهة مشهورين (يتم التشهير بهم) بتعييرات وضيقات، ومن جهة صائرين شركاء الذين تُصرَف فيهم هكذا» (عب ١٠: ٣٣).

١٠ ـ ماذا يُقال أيضاً عن الذين ماتوا وهم يعانون مثل هذه التجارب، وهم يعدوا رجالاً ونساء للجهاد؟ لهذا فإنّ بولس الرسول معه الحقّ في الإعجاب لهم. كثيرون بذلوا ثروتهم لكي يجد المسجونين والمنفيين بعض الراحة في بليّتهم العظمى. وعندما سُلبت أموالهم قَبلوا هذه التجربة بفرح بحسب كلمة الرسول. البعض منهم طردوا من وطنهم. والبعض الآخر طردوا من الحياة (أي ماتوا).

١١ ـ لذلك عند رؤية مثل هذا الغنى والمكسب والغنيمة وقد أُقتيدت إلى الكنيسة، ومثل هذه الكنوز تتراكم، والذين كانوا ضعفاء في السّابق صاروا الآن أكثر حرارة من النار، والذين لم يكونوا يغادروا المسارح رحلوا إلى الصحراء جاعلين الوديان والجبال بمثابة كنائس.

وبينما لا يوجد مَن يقود القطيع (لنفي البطريرك أو الأسقف) فإنّ الخراف قامت بعمل الرعاة. جنود الرئيس ـ بفضل جسارتهم الواثقة وشجاعتهم، بكل الغيرة والحماس والتحفظ الذي يليق ـ قاموا بأداء المهمات المنوطة بالرئيس. ألا تُصاب بالدهشة وتمتلىء بالإعجاب لأعمال الفضيلة التي سبّبتها الأحداث ؟

١٢ ـ لأنه ليس الذين يعيشون حياة مستقيمة بل كثيرون من الذين يقضون أوقاتهم في المسارح وميادين سباق الخيل، الذين تطهّروا بحمية نار شديدة، قد تخلّوا تماماً عن طياشتهم واندفعوا ـ إن جاز القول ـ عبر السيوف مُظهرين أمام الولاة جسارة واثقة، محتقرين البلايا ومستهزئين بالتهديدات، مُظهرين كيف تكون قوّة الفضيلة، وكيف يمكن لمن سيوصله الموت حتماً لأعلى السموات بتوبته وندامته (فيكون جديراً بالإقتداء به).

١٣ ـ عندما ترى كثيراً من المكافآت، ومثل هذه الأكاليل المضفورة، ومثل هذا التعليم منتشراً، أخبرني من أين يأتي أنّك تُعثَر ؟

لقد قلتُ ولن أكفّ عن القول أن هلاك مَن يعثرون شيءٌ يعزّى إليهم (لضعفهم).! إن حديثنا موجّه بكل طريقة لإظهار هذا.

وسأذكر أيضاً مزيّة أخرى. كم عدد الناس الذين يرتَدُون قناع التقوى، وكم عدد الذين لهم وداعة كاذبة، وكم عدد الذين كانوا يعتبرون عظماء ولم يكونوا (في حقيقة الأمر) عظماء، وسقطوا تماماً في الظروف الحالية ؟ إن حيَل خداعهم قد انهارت، وظهروا على حقيقتهم وسَقَطَ ما كان يزيّفونه ويتراءون به.

١٤ ـ هذه ليست مزيّة هيّنة بل امتياز مُعتَبر جداً لمن اهتموا لما فيه فائدتهم من جهة تمييز مَن يَرْتَدُون جلود الحملان ولا يختلطوا بالذئاب التي تخفّت هكذا وسط الحملان الحقيقية. إن الوضع الحالي هو أتون يتيح التمييز بين قطع النقود، فتلك التي من البرونز تذيب الرصاص وتحرق القش وتجعل المواد الثمينة تظهر أكثر قدراً. وهذا ما يبيّنه بولس الرسول عندما يقول: «لأنه لابدّ أن يكون بينكم بدع أيضاً ليكون المزكّون ظاهرين بينكم» (١كو١١: ١٩).

خطرات أفكار

* مَن عرف قدره علا أمره.
* مَن نقض عهده ومنع رفده واظهر حقده فلا خير عنده.
* من كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينه.
* من أعجب بنفسه فضحها.
* من سَكِرَ من خمرة الدنيا هلك في خمار الهوى.
* من فعل ما شاءَ صبَر على ما لا شاء.
* ليس يُعَدُّ حكيماً مَن لم يَكُن لنفسه خصيماً.
* ليس العاقل الذي اذا وقع في الأمر احتال له، لكن العاقل الذي يحتال للأمر ولا يقع فيه.
* الخير كله في ثلاثة: السكوت والكلام والنظر.
فكل سكوت لا يكون فكرة فهو سهو.
وكل كلام لا يكون حكمة، فهو لغو.
وكل نظر لا يكون عبرة، فهو لهو.

المجالسة، المعاشرة، العزلة

وَمَن يَكُنِ الغُرابُ لَهُ دَليلاً يَمُرُّ بِهِ عَلَى جِيَفِ الكِلابِ

* * * * *

احـذَر مُعـاشَرة الدَنـيِّ فَإنّـها
تُعدي كما يُعدي الصَّحيحَ الأجرَبُ

* * * * *

كُـلُّ امـرىءٍ في حـالِه أجْرَبُ
لا يَـأمَنُ العـدوَى بِهِ الأقـرَبُ
طَبعُ الفَتى يَسْرِقُ مِن طَبعِ مَنْ
يَصحَبُهُ فَانظُر لِمَنْ تَصحَبُ

تكريم الشهداء في الطقس الكنسي

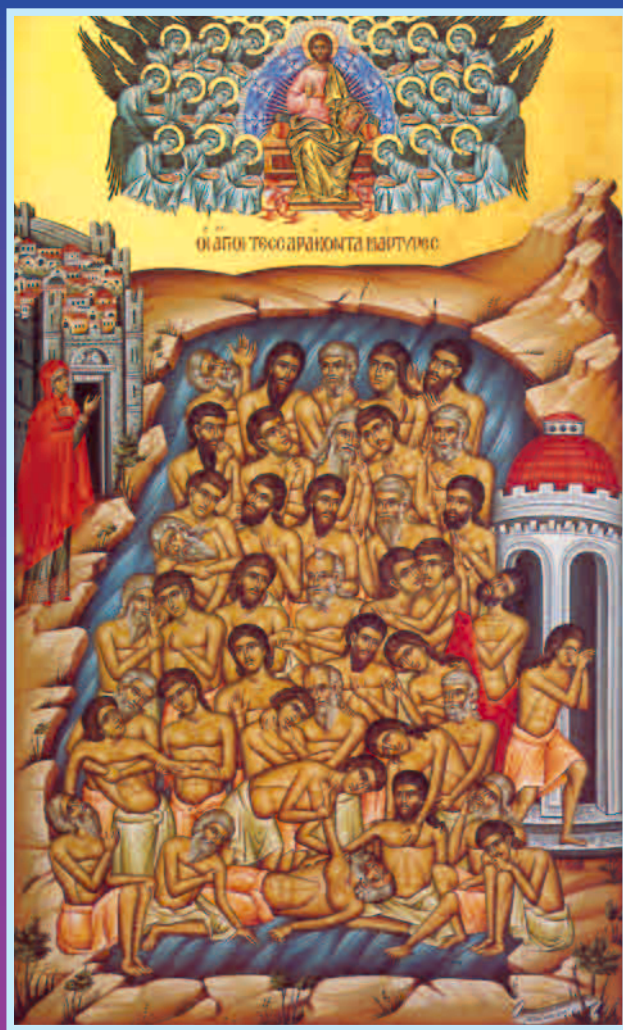

الشهداء الأربعون

للأب متى المسكين

دَخَلَ تكريم الشهداء كعنصر من العناصر المؤثرة في الطقس الكنسي منذ العصور الأولى، ليس بمجرّد قراءة السيرة أو التسبيح، بل وفي صميم الليتورجيا. إذ كانت تقام الإفخارستيّا خصيصاً باسم الشهداء، حيث يعقبها مباشرة الأغابي الكبرى التي كانت تسمى «الأنامنيسيس ἀνάμνησις» أي التذكار، وفيها يعيِّد المؤمنون عيداً مبهجاً للغاية لذكرى القديس باعتباره شاهداً للمسيح ولصدق وعد الرب يوم صعوده إلى السماء: «وتكونون لي شهوداً في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصَى الأرض ἐσεσθέ μου μάρτυρες » (أع١:٨)، حيث كانت قيمة الشهداء الروحية في الكنيسة تستمدّ قوّتها واحترامها وتأثيرها الشديد في النفوس بسبب «**الشهادة**» ، لأن الشهادة للمسيح كانت منذ الرسل أعظم وأَجَلَّ الأعمال التي يمكن أن يقوم بها الإنسان في حياته كلّها.

والرسل هم أول الشهداء الذين سلّموا الإيمان كاملاً، كل ما رأوه وسمعوه من المسيح، بكل أمانة وشجاعة. **ولما طولبوا بالشهادة تحت تأثير الموت، شهدوا بلا تردّد أو جزع أو خوف، وماتوا.**

والذين تسلّموا الإيمان من الرسل، سلّموه أيضاً تحت السيف أو من خلال التعذيب حتى الموت.

وهكذا انتقل الإيمان بالمسيح عبر الإستشهاد المتواتر، لذلك أصبح الإستشهاد وأصبح تكريم الشهداء جزءاً حيّاً من صميم الإيمان بالمسيح !!

إنّ الشهادة للمسيح إنما تخرج من ملء روحي، فالروح القدس هو الذي ينطق في فم الشهيد في تلك الساعة حسب وعد الرب: «لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس» (مر١٣:١١). لذلك فإن حصول الشهادة كاملة تحت تهديد الموت إنما هو علامة وبرهان أكيد **على أن الروح القدس هو الناطق**، وبالتالي أن الشهيد في هذه اللحظات يكون في حالة ملء كامل من الروح القدس. من أجل هذا احتُسب الشهيد في الكنيسة بدرجة نبيّ !! وسفر الرؤيا يؤكّد ذلك «فإن شهادة يسوع هي روح النبوة» (رؤ١٩:١٠).

والكنيسة في تكريمها للشهداء الآن، والذي كان في العصور الأولى بدرجة حارّة جداً، إنما ينبع فينا من حالة رؤيوية ومن إيمان يستشف اللاّمنظور ورجاءٌ يعيشُ في عمق السماء. فالشهداء قائمون في السماء، بحسب رؤيا القديس يوحنا، جالسون مع المسيح يملكون في الحياة، يحكمون ويدبرون الكنيسة بقدر ما أعطاهم المسيح من مجد وسلطان!! «ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأُعطوا حكماً، ورأيتُ نفوس الذين قُتلوا **من أجل شهادة يسوع** ومن أجل كلمة اللّه والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السِّمة على جباههم وعلى أيديهم، **فعاشوا وملكوا مع المسيح** ألف سنة» (رؤ٢٠:٤-٥)، أما الألف سنة هذه فهي حسب إيمان الكنيسة ما نحياه الآن.

إذن، فتطلُّع الكنيسة الحار نحو الشهداء كلٍّ باسمه، سواء بالقراءة أو بالتسبيح أو الليتورجيا وكأنها في عيد حقيقي، إنما هو ينبع من صلة رسمية وليس تفضلاً من الكنيسة على الشهداء ! فالشهداء يملكون في الكنيسة ويترأسون فيها وقد اشتروا مواضعهم فيها بدمائهم، غير أنهم لم يقيموا أنفسهم في هذه الكرامة بل المسيح هو الذي أقامهم وأجلسهم معه وأعطاهم نصيباً في مُلكه !!

إذن، فالقراءة لهم من داخل الخدمة الإلهيّة والتسبيح بأعمالهم وأسمائهم في الليتورجيا حقٌ لهم ولنا، وليس تفضّلاً منّا عليهم، فَهُم قائمون معنا يترأسون خدمتنا وتسبيحنا وليتورجيتنا يشتركون في كل ما نقدمه للمسيح، ولكن ليس في حالة تغرّب وخوف مثلنا، بل كأرواح مبرّره كمّلها المسيح بكل كمال ومجد كأبهى جزء من صفوف الكنيسة: «لقد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة اللّه الحيّ أورشليم السمائية وإلى ربوات هم محفل ملائكة **وكنيسة أبكار مكتوبين** في السماوات وإلى اللّه ديان الجميع **وإلى أرواح أبرار مكمَّلين** وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى **دم** رُشَّ **يتكلم** أفضل من هابيل» (عب١٢:٢٢-٢٤).

ولكن لا يظنّ أحد أن هذا المجد وهذه الكرامة التي ينالها الشهيد، والتي نرفعها ونعلّيها في الكنيسة بالفرح والتهليل كأعلى عملٍ وخدمةٍ، شيءٌ هيِّن. فالشهادة للمسيح تحت تهديد السيف

والعذاب **أمرٌ مهول**، لا بسبب هول الموت أو مرارة التعذيب، بل بسبب ضرورة ارتفاع النفس فوق كل مغريات الحياة ومسرّات الدنيا وعشرة الأهل والأصدقاء والأعزاء. فالشهادة للمسيح حبٌ لا يقف إزاءه أي حب آخر في العالم، **لا أب ولا أم ولا أخ ولا أخت ولا ابن ولا ابنة ولا زوج ولا زوجة ولا أي شيء كان ما كان**.

فلكي يشهد الشهيد للمسيح تحت تهديد الموت ويغلب العالم، يلزمه أن يُخضع كل عاطفة وكل حبّ وكل واجب وضرورة تحت حكم البغضة، حتى حياته ذاتها: «وهم غلبوه بدم الخروف، وبكلمة شهادتهم **ولم يحبّوا حياتهم حتى الموت**، من أجل هذا افرحي أيتها السموات والساكنون فيها.» (رؤ١٢:١١).

فإن كانت السموات تفرح وكل الساكنين فيها بالشهيد الغالب، فكم وكم بالحري يكون فرح الكنيسة ؟

وإن كانت شهادة الشهيد تصير أنشودة تهليل لدى السمائيين، فكم يكون على الكنيسة أن ترتب أناشيدها لهم ؟

ولكن لا يأتي حب الشهيد للمسيح من فراغ، فلكي **يحب** يلزم أن **يبغض** أولاً، ولكي يستطيع أن يبغض أولاً أباه وأمّه وأخاه وأخته وابنه وابنته وزوجته ليصير أهلاً لحمل صليب المسيح ويتبعه كنصيحة الرب (لو١٤:٢٦)، يلزم أن يهزم في نفسه الخوف ... كل خوف! الخوف من كل ما يُقال ومن كل ما يُعمَل بواسطة أي إنسان أو شيطان «وأما خوفهم فلا تخافوه» (١بط٣:١٤)، «لا تخف البتة» (رؤ٢:١٠)، «أنا هو، لا تخافوا.» (مت١٤:٢٧).

الشهيد يطرح الخوف، لأن المسيح حقيقته العظمى والوحيدة التي أمسك بها. يشهد له لأن عينيه مثبّتتان عليه وحده فقط، وفمه ينطق باسمه، وقلبه لا ينبض بحب آخر سواه !!

إن غلبة الشهيد للخوف هي بعينها غلبة كلّ شهوة وكل العالم معاً. هذه الحقيقة التي طالما ترنم بها المغبوط أغسطينوس: ﴿وقفتُ على قمّة العالم حينما أحسست في ذاتي إني لا أخاف شيئاً ولا أشتهي شيئاً﴾.

وهكذا يتضح لنا أكثر فأكثر عنصر الشجاعة الإيمانية التي تسلمتها الكنيسة من الشهيد، كتراث كريم ومكرّم، لا شجاعة بأس وقوّة على النضال، بل شجاعة بغضة ذات، وقدرة على هزيمة الخوف، والإرتفاع بحب المسيح فوقَ كلِّ حب.

لذلك أصبح التمجيد للشهيد في الكنيسة باللحن والليتورجيا هو تكريم لإيمان حي شجاع أعظم ما تكون الشجاعة ورثته الكنيسة كقوة فعالة مذخرة في صميم كيانها، إيمان توزعه على أولادها في كل عيد، إيمان يقوم على بغضة الذّات وهزيمة كل خوف وارتفاع بحب المسيح فوق كل حب.

أما هذه الشجاعة الإيمانية المذّخرة في شهادة الشهيد والتي تفتخر بها الكنيسة وتعيّد لها، فقد أسس المسيح كل متطلباتها في قلب كل مَن يأتي إليه ويؤمن به بإخلاص حينما قال مسبقاً: «**فانظروا إلى نفوسكم لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وتُجلدون في مجامع وتوقفون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم**. وينبغي أن يُكرز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم. فمتى ساقوكم ليسلموكم، فلا تعتنوا من قَبل بما تتكلمون ولا تهتموا. **بل مهما أُعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلموا لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس**.» (مر١٣:٩-١١).

وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض.

هذه الشهادة النابعة من نفس شجاعة: «فانظروا إلى نفوسكم» ، وهذه الشهادة المصوغة بالروح القدس على أفواه الشهداء، هي هي الآن مجد الكنيسة وفخرها، هي تسبيحها وهي فرحتها وقوتها.

أما كل المواقف الصعبة التي وقفها الشهداء بكل صنوف أهوالها المرعبة فقد دبرها الروح القدس بكل عناية وصمّم ونفّذ مشاهدها وشهودها على مرأى من الملوك العظماء والقادة وكل نفس قاسية وظالمة، حتى تغطي شهادة الشهيد أعظم وأكبر دائرة بين نفوس بني البشَر !! وحتى يغطي دم الشهيد أكبر مساحة من تربة الكنيسة، من داخل ساحات القصور وملاعب اللهو والمَجون العتيدة أن تكون كاتدرائيات المستقبل حاملة أسماء شهدائها الأبطال !!

ولكن في ذكرى الشهداء لا ينبغي أن ننسى موقف المعترفين «**أومولوچيتيس**»، فهم شهداء أيضاً، وإن كانت شهادتهم لم تبلغ حدّ سفك الدم. وقد كانت الكنيسة الأولى لا تفرّقهم عن الشهداء، كرامةً ومجداً، إذ كانت تحسبهم «**شهداء أحياء**». ونجد في أقوال القديس كبريانوس والعلاّمة ترتليان كلمة «**شهيد**» تُطلق على المعترف بدون أي فارق. وقد أحلتهم الكنيسة موضع الشهداء تماماً ووضعتهم في طقس الإكليروس من حيث الرتبة الطقسية الكنسية بكل مميزاتها، فكانوا يقفون في صفوف الشمامسة الرسميين، وكثيراً ما سُمح لهم بكرامة الكاهن وحقوقه.

ثم قياساً على ذلك، يمكننا أن نتصوّر مدى جدارة روح الشهيد في التشفُّع عن المذنبين !! لذلك كان الناس يتبارون في غمس ملابسهم في دم الشهداء والإحتفاظ بها كبقايا تقام عليها التذكارات السنوية مع الصلوات والإبتهالات في عدّة كنائس معاً.

وقد ظلّت رتبة الشهداء والمعترفين في الطقس الكنسي أعلى من أي لقب كنسي آخر. وعندما أراد القديس غريغوريوس النزينزي تكريم القديس أثناسيوس الكبير بابا وبطريرك الإسكندرية في خطبته الجنائزية، فإنه فوق كونه صارمُكَملاً في المجد، اعتبره في رتبة المعترفين. بسبب الإضطهادات والمحن التي أصابته من الآريوسيين واليهود والوثنيين، حيث رتبة المعترفين هي في الكنيسة أعلى من كل رتبة الأساقفة أو مواهبهم اللاهوتيّة. ■

القديس جراسيموس الناسك الجديد في جزيرة كيفالينيا في اليونان

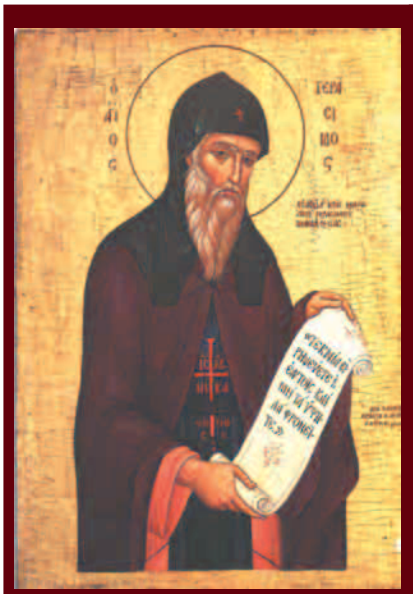
القديس جراسيموس الناسك الجديد

القديس جراسيموس أصله:

ولد القديس جراسيموس في بلدة تريكالا التابعة لمدينة كورنثوس الجبلية، عام ١٥٠٩م، من أب يدعى ديميتريوس وأم اسمها كالي، من عائلة النوتاريين، وقد كانت عائلة النوتاريين عائلة رسمية عريقة من المحيط الإمبراطوري في مدينة القسطنطينية، ولكنها بعد سقوط القسطنطينية اختارت بلدة تريكالا كمكان جديد لإقامتها، تجنباً لهمجية العثمانيين، وبحثاً عن الهدوء والسلام بعيداً عن الاضطهادات. ويذكر التقليد بشكل أدق، أن لهذه العائلة أواصر قربة مع عائلة الباليولوغي التي اعتلت عرش القسطنطينية في عام ١٢٦١م، وبالطبع فإن هذه القرابة ليست قرابة دم بل هي ناتجة عن مصاهرة، فإن واحداً من عائلة النوتاريين كان قد اتخذ له امرأةً من عائلة الباليولوغي.

ومن الجدير ذكره أيضاً، أن القديس مكاريوس، أسقف كورنثوس (١٧٣١–١٨٠٥) الذي نعيّد له في السابع عشر من شهر نيسان، ينحدر من عائلة النوتاريين، وبما أن القديس جراسيموس كان ينحدر من نسل عائلي كهذا، فقد حصل على تربية جيدة، فكان وقوراً، ملتزماً بالتقاليد. كان يتمتع أيضاً بسلوك حسن، ونفس صالحة. كما وأحرز تقدماً في علومه، وخاصةً العلوم الدينية. كان قلبه يُسر عندما كان يدرس الكتاب المقدس والكتب الدينية. وأما روحه فكانت تبتهج عندما كان يقرأ سير القديسين.

إن التقوى التي زرعتها فيه أمه، كانت تتعزز يوماً بعد يوم. فكان يحب جداً أن يذهب إلى الكنيسة، لدرجة أنه لم يتخلف أبداً عن قداس يوم الأحد، ولا عن قداديس الأعياد. بالإضافة إلى أنه اهتم بتنمية نفسه روحياً، لأنه أدرك أن «كوننا ـ نحن البشر ـ على صورة اللّه ومثاله»، فهذا شيء أثمن من كل الأشياء في العالم. أي أن يشابه أحدنا اللّه، فهذا له قيمة عظيمة جداً. وبالفعل كان هذا بمثابة المغناطيس الذي جذبه، فصار هدفاً وغايةً لحياته، كما هو غاية كل إنسان. وبقي بمثابة المحور الذي دارت حوله كل الأهداف السامية والمثل العليا الرائعة عند القديس. كان طموحه الوحيد أن يصبح كاملاً، أي أن يصير قديساً. وقد كرّس كل قواه في سبيل بلوغ هذا الهدف. وبالطبع فإنه لم يولد قديساً ولكنه صار كما صار بقية القديسين، بقوة اللّه ونعمته. ونؤكد على ذلك لأن هذا الأمر عسر الفهم عند الماديين والمصلَحيّين، الذين يقيسون كل الأشياء بمقياس المنطق والمنفعة المادية.

في جزيرة كيفالينيا:

غادر القديس إلى جزيرة كيفالينيا، التي أصبح شفيعاً وحامياً لها حتى وقتنا الحاضر. وكمكان للسكن اختار مغارة في منطقة أرغوستولي، التي كان سكانها يسمونها المغارة (سبيليا)، كما كانت تدعى البلدة القريبة من ذلك المكان. في داخل هذه المغارة نسك قديسنا أحد عشر شهراً. هناك صارع الشيطان بشدة صارعه وجهاً لوجه. وفيما بعد، شُيّدت في ذلك المكان، إكراماً للقديس كنيسة تعيد مرتين في السنة. انتشرت شهرة القديس في كل المنطقة، فأسرع الناس من القرى المجاورة ليعترفوا عنده، وليستمعوا لكلماته الحكيمة وليسترشدوا من أجل جهادهم الروحي. وهذا بالطبع كان جيداً للناس، ولكنه لم يكن كذلك بالنسبة للقديس نفسه. إذ إن القديس أراد أن يكون منعزلاً بشكل تام عن العالم، وأن يتمتع عقلياً بشركته مع اللّه. ولهذا فقد شدّ خطاه من جديد، وذهب لموضع آخر، فيه هدوء أكثر، يدعى أومالا. بالرغم من اسم المكان: أومالا، الذي يعني باليونانية: مستوياً، أو سهلاً أو منبسطاً، فإن ذلك المكان كان موحشاً، مُجدباً، وعراً ومن الصعب الوصول إليه. كانت الغابات والأراضي البريّة تحيط به. وأما من الجهة المقابلة له فكانت تقع بلدة بسلمانا.

وفي عام ١٥٦٠م كان كاهن البلدة، الأب جوارجيوس بلسموس قد وهب القديس كنيسةً صغيرة على اسم والدة الإله الفائقة القداسة، لكي يقيم فيها الخدم الإلهية. وفي هذه الكنيسة كانت توجد أيقونة لوالدة الإله، يُعتقد أن القديس قد وجدها. كان للأب جوارجيوس أختان تعيشان الحياة الرهبانية. ونزولاً عند رغبتهما، أقام القديس في هذا الموضع وبدأ عمله الشاق في تنظيف الأرض وزراعة أشجار الزيتون والكرمة. وحفر القديس بنفسه في أمكنة كثيرة، بحثاً عن الماء، حتى وجد أخيراً. فعمل بئراً مازال موجود حتى يومنا هذا. ولهذا البئر خصوصية معينة، ففي كل منطقة أومالا لا يوجد بئر مثله، ينبوعي (فوّار). لأن طبيعة الأرض في ذلك الموضع، لم تكن تسمح بذلك. ومرات كثيرة ـ بعد موت القديس ـ عندما كان الكهنة يضعون جسده فوق البئر ليعملوا تضرعاً ما، كانت مياهه ترتفع لتصل إلى أعلى مستوى، وحين كانوا يرفعون الجسد عن البئر، كان منسوب الماء يعود إلى وضعه الطبيعي.

ولكن الشيطان، مُبغض الخير، كان قد دفع بالأب جوارجيوس أن يحسد عمل القديس جراسيموس، وهذا بدوره حرض القرويين ليضعوا عوائق في مسيرة القديس، الذي عاش ناسكاً بأصوام وأتعاب وسهرانيات طوال الليل. لكن القرويين ندموا على فعلتهم بسرعة حين تأكدوا من أن جراسيموس كان بالحقيقة ناسكاً، وقديساً يعيش في منطقتهم! ولهذا طلبوا منه المغفرة منه، فسامحهم. وكانت هذه القضية قد وصلت أيضاً إلى محكمة الاستئناف في مدينة البندقية، فبُرر القديس من المحكمة أيضاً.

القديس يشيّد ديراً:

كانت شُهرة القديس وقداسته قد جلبتا أناساً كثيرين إلى هذه الأماكن الموحشة من الجزيرة. فبعضهم أتى ليسمع الوعظ، والبعض الآخر ليعترف، ومنهم من أتى ليسترشد بنصحه، وآخرون ليروه بعيونهم عن قُرب. وبشكل أساسي كان يذهب إلى القديس عذارى ممن أرادوا أن يصبحوا راهبات. ففكر القديس أنه في ذلك المكان الجبلي المليء بالصخور، يجب بناء ميناء للنفوس المتعبة والغارقة.

وعلى العجل وضع الأمر موضع التنفيذ. وفي فترة زمنية قصيرة كانت الكنيسة الصغيرة قد توسعت، وشُيّدت حولها القلالي. وأول من دخل وسكن الدير، كانت الراهبتان أختا الأب جوارجيوس. وشيئاً فشيئاً كان عدد الراهبات يزداد، حتى بلغ الخمس والعشرين راهبة. وأما الدير فقد أسماه (أورشليم الجديدة).كان القديس يعتني بالناس كثيراً، وخصوصاً تلك النفوس العذراوية التي عاشت بقربه، فكان يسهر ويصلي من أجلها، مُدركاً أنه مسؤول عنها، وأن من واجبه أن يقودها إلى الفردوس. لذلك كان يصلي من أجلها. كان يصلي في الصلوات الجماعية، ولكنه أيضاً كان يقيم صلوات خاصة، مُذكراً نفسه دائماً بأن هؤلاء من أجل المسيح تركوا كل شيء، ويجب أن يتكرسوا للمسيح بشكل كامل.

عيد القديس جراسيموس الناسك الجديد في كيفالونيا

أعجوبة المطر:

من المعروف أن جزيرة كيفالينيا تعاني من قلة المطر. وكثيراً ما كان الجفاف الذي يُصيبها يبعث اليأس في النفوس. وبما أن الموسم الزراعي فيها يعتمد على البقول، فيمكننا أن نتصور مقدار الخراب الذي كانت تعانيه عندما لا يسقط مطر. وفي وقت ما، عندما كان المطر قليلاً، التجأ الناس إلى اللّه، فعملوا تضرعات، وصلوات ابتهالية وزياحات كل يوم، ولكن عطية المطر الكبرى لم تظهر. عندها توجه الكل إلى الناسك القديس راجين إياه أن يصلي هو أيضاً إلى اللّه، حتى يمنّ عليهم بالمطر. في البداية، ومن شدة تواضعه، طردهم. ولكنهم أصروا عليه، فاضطر أن يخضع لرغبتهم. سجد القديس مع جميع الناس، وبكى وصلى بحرارة، ففتحت السماء شلالاتها، وروّت الأرض العطشى، وأما الشعب فتعزى، وفرح وصار يجول في بيوته مسروراً ممجداً اللّه. وليس هذا فقط، بل أن اللّه كان قد منح القديس مواهب كثيرة. فكان الناس المرضى، والمتعبون، والبائسون الذين عانوا من لعنات وأمراض، يلتجئون إليه. وهو كطبيب بارع، كان يشفيهم. وبشكل خاص كان اللّه قد منَّ عليه بموهبة إخراج الأرواح الشريرة من المصابين بالشياطين. حتى أن الشياطين أنفسهم كانوا يسمونه في كثير من الأحيان كبساليس، أي المُحرِق.

رقاده:

أتت الساعة ـ كما تأتي لكل واحد منا ـ حتى يترك القديس هذا العالم الوقتي الزائل. أتت الساعة ليصيبه النصيب المشترك، أي الموت. وكاهن القديس قد فهم بدقة أنه سيموت. فدعا أولاده الروحيين، أي الراهبات، وأعطاهم وصاياه وإرشاداته الأخيرة. عاد وأكد لهم وذكّرهم بالسبب الذي من أجله تركوا العالم. وبما أنهم خسروا العالم الحاضر، يجب عليهم الآن من خلال حياة الفضيلة أن يربحوا العالم السماوي الدهري، غير الفاني. نصحهم بأن يحافظوا على السلام والمحبة فيما بينهم، وعلى الإيمان بالمسيح غير متزعزع. وهكذا أغلق القديس عينيه، مُودعاً روحه في يدي الخالق، الذي أحبه وخدمه بغيرة كبيرة، فصعدت نفسه بشوق قرب العرش الإلهي. رقد في الخامس عشر من شهر آب عام ١٥٧٩م، بعد مضي سنتين على الدفن، لم ينحل جسده، بل صار محجاً لكثيرين، مظهراً بهذا علامة قداسته. ولكن جبرائيل مطران فيلادلفية شكك بهذا الأمر، ولم يؤمن به، فأمر بإعادة الدفن مع ترك الجسد مدفوناً لمدة ثمانية أشهر. وماذا حدث؟! ظهر الجسد ثانية إلى النور، مع كل براهين القداسة!. ومنذ ذلك الوقت صار الجسد الموقر يشكل ميراثاً ثميناً لجزيرة كيفالينيا، ولكل الكنيسة الأرثوذكسية. وكان سكان الجزيرة منذ البداية يوقرون القديس. حتى أن الحكومة الإنكليزية ـ اليونانية في الجزر السبعة، كانت أيضاً قد أصدرت قراراً أنه، خلال الأيام السبعة التي كان يُعرض فيها جسد القديس للسجود له من قبل المؤمنين، بالإضافة إلى الأيام التي نعيّد فيها للقديس، تكون هناك عطلة لكل دوائر الدولة، مع فرض عقوبات صارمة على المخالفين.

عيده:

بما أننا في الخامس عشر من شهر آب، نُعيّد لرقاد السيدة العذراء، فإن عيد القديس يُنقل إلى اليوم التالي، أي السادس عشر من شهر آب. وأما في اليوم العشرين من شهر تشرين الأول فنعيّد لنقل بقايا القديس.

بعض من عجائبه:

إن الأعجوبة الأكبر والأعظم هي بقاء جسد القديس صحيحاً كاملاً إلى يومنا هذا، بحيث يتشدد في إيمانهم المستقيم الرأي الذين يروه. أما عجائب القديس الأخرى فهي كثيرة جداً، يذكر منها جرمانوس مطران جزيرة كيفالينيا، في عام ١٩٣٨م، مئة وعشر من أهم الأعاجيب التي أجراها القديس. بينما سنكتفي نحن بسرد القليل منها.

أعجوبة شفاء المصابة بالشياطين:

بعد رقاد القديس بوقت قليل، جاءت إلى الدير امرأة مصابة بروح شرير. وكل يوم كانت تصلي راكعة أمام قبر القديس، وراجية اللّه أن يمنحها الصحة، معتقاً إياها من الروح النجس. وفي إحدى الليالي عذبها الشيطان بشكل فظيع، حتى أنه شدها بقوة، وعلقها

داخل البئر الموجود في ساحة الدير الخارجية. وبالطبع لم يكن من المعقول أن يترك القديس تلك النفس المتعبة المعذبة. ففي نفس اللحظة سمعت الراهبات في الدير صوت القديس الذي سبق أن اعتدن سماعه، يقول لهن: (أسرعوا لتساعدوا المرأة المصابة بالشياطين، لأنها في خطر). فاستيقظت الراهبات على عجَل، وأخذن مصابيحهن وأسرعن للبحث، مفتشين في كل مكان. انحنين ونظرن أيضاً في البئر، فماذا رأين!! رأين المرأة المصابة بالشياطين واقفة على سطح الماء، وكأن شخصاً ما يمسك بها، وهي تصرخ: (ارموا لي حبلاً لأخرج)! رمين لها الحبل، فخرجت وهي تبكي. ولم تكن تبكي من الحزن، بل من الفرح والسرور. وعندما روت أمام الجميع كل ما حدث معها. وكيف رمى بها الشيطان في البئر، وإذ براهب يمسك بها، ويبقيها واقفة على سطح الماء، ويشجعها قائلاً:(لا تخافي فلن يصيبك مكروه. لقد تحررت من الروح النجسة). وفي اللحظة التي أُلقي فيها الحبل، اختفى الراهب.وهكذا أسرع الجميع بفرح إلى الكنيسة، ليشكروا اللّه والقديس.

زياح جسد القديس جراسيموس وسط حشدٍ من المؤمنين

الطفل وحجاب المرأة التركية:

في عام ١٧٨١م أحضروا إلى الدير قروياً، يدعى جوارجيوس. هذا كان مريضاً جداً ومنهكاً من شدة المرض. وكانت تبدو عليه شبه علامات الجنون. وبالأحرى كان يسكن فيه شيطان يجعل جسمه يرتجف ويتوتر بأكمله، فيظهر بمظهر محزن جداً. بقي الصبي في الدير بدون أي معالجة. حتى مر كاهن الدير في أحد الأيام من قربه، ورآه يبكي بأسى فسأله:ما لك يا جوارجيوس؟ لماذا تبكي؟.

وتسألني ما لي؟ ... أيها الأب؟ لقد صار لي كل هذا الوقت هنا، ولم أرَ أي تحسن. بينما يأتي آخرون بعدي ويُشفَون. هل اقترفت خطيئة ما، يا بني، ولم تعترف بها حتى الآن؟ هل نسيت واحدة بدون اعتراف؟

لا أتذكر شيئاً آخر، أيها الأب! بل كل ما أتذكره هو أني عندما مرضت بهذا المرض، ذهبت إلى امرأة تركية فعملت لي هذا الحجاب. ونزع الولد من صدره الحجاب الذي كان فيه خيطاً معقوداً وورقة كُتب عليها بأحرف تركية، وأعطاه للكاهن. عندها أخذ الكاهن الصبي، وأوقفه أمام قبر القديس، وجعله يعترف. وفي القداس الإلهي، وأمام أعين الجميع، أحرق الكاهن الحجاب. في نفس الليلة ظهر القديس جراسيموس للصبي، وباركه وأعتقه من مرضه العسير. فمجد الجميع اللّه.

شفاء الفتاة المصابة بمرض الجدري:

أُصيبت إحدى الفتيات بمرض الجدري. وبعد مرور فترة شهر على مرضها، أُصيبت بالعمى. فكان حزنها وأساها عظيمين. ويوماً ما رأت في الحلم راهباً، يقول لها: «اذهبي إلى جزيرة كيفالينيا. وهناك سيشفيك جراسيموس». وحالما استيقظت، روت لأهلها ما رأت في الحلم. فذهبوا معاً إلى دير القديس. جلسوا هناك سنة كاملة لم يحدث خلاله أي تحسن، لكنهم لم يفقدوا رجائهم وثقتهم بالقديس.

وهكذا ففي ليلة من الليالي، رأت الفتاة القديس مرة أخرى في الحلم، قائلاً لها: «قومي يا ابنتي، واذهبي إلى بيتك، فإنك معافاة». نهضت الفتاة من فراشها. فتحت عيناها، وإذ بها تبصر، فأخذت تصرخ من شدة الفرح، وعلى صراخها استيقظ كل من في الدير. لقد كان فرحها لا يوصف. بعد ذلك غادرت مع أهلها إلى بلدهم. وبعد عشرين شهراً تزوجت. وكعربون شكر للقديس، أتت مع زوجها إلى الدير، وسجدا لجسد القديس ممجدين اللّه.

أولغا المصابة بالشيطان:

كانت الفتاة أولغا مصابة منذ عام ١٩١٨م بشيطان خطير. وفي أحد الأيام قرّر أقاربها أن يأخذوها إلى القديس جراسيموس. ولما وصلوا إلى مينا إيتوليكوس الذي كانوا سيغادرون منه، فجأةً، رفضت أولغا أن تدخل السفينة. وبدون أي سبب، رفضت فكرة السَفَر وأما أقاربها فلم يعرفوا كيف يواجهون رفضها هذا. لكنها خلال وقت قصير صارت تضحك بشدة، ودخلت وحدها إلى السفينة، قائلة: «**اليوم سأغرقكم كلكم**». المسافرون معها لم يعيروا اهتماماً لهذه الكلمات. لأن الطقس كان هادئاً، والبحر كان جيداً. ولكنهم عندما ابتعدوا عن الشاطئ بمسافة كبيرة، فجأةً، هبت عاصفة كبيرة، وملأ الماء سطح السفينة، فأوشك الكل على الغرق. وحدها الفتاة المصابة بالشيطان كانت جالسة في إحدى الزوايا، وهي تضحك فرحة، وتقول: «**سأغرقكم كلكم ... اليوم سأغرقكم كلكم**». عندها ركع الجميع وصاروا يبتهلون إلى القديس جراسيموس لينقذهم. وبعد لحظات رأوا أولغا قد صمتت، ثم سكنت الريح. عندها سمعوا أولغا تقول: «**كنت سأغرقكم لولا أن القديس جراسيموس أمسك دفة السفينة، وهدأ الريح!**». فبشفاعته أيها الربّ يسوع المسيح إرحمنا وخلّصنا. آمين.

طروبارية القديس جراسيموس باللحن الأول : هلموا لنمدح أيها المؤمنون جراسيموس الإلهي الظاهر لنا حديثاً، نصيراً للمستقيمي الرأي، وملاكاً بالجسد، وصانعاً للعجائب متوشحاً بالله، لأنه نال باستحقاق من لدن اللّه، موهبة الأشفية التي لا تفرغ، ليبرىء المرضى ويشفي المصابين، فلذلك يفيض الأشفية لمكرّميه.

مناهج التوبة

واغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن لمن أخطأ إلينا ..

ما دمنا نخطىء كل يوم ؛ إذن فلنَتُب كلَّ يوم ونجدّد أنفسنا بالتوبة. فمراحم اللّه نحونا لا نهائية وتفوق كل تعبير. فالتوبة علاجها ليس له حدود ؛ وخطايانا الكثيرة يقابلها مراحم لا تُعَدّ ولا تُحصَى ، خطايانا المتكرّرة لن تستعصي إزاء صلاح اللّه الآنهائي ؛ إنها تتلاشى أمام رأفته التي لا تفرغ؛ هي تقودنا لكي نتبرر. وما لا نستطيع عمله؛ اللّه يستطيع بقدرته وبدم صليبه أن يكمله.

التوبة هي عهدٌ مع اللّه وتجديدٌ للمعمودية؛ وهي حُكم على الذّات؛ بها يتم المصالحة مع الآب وتطهير الوجدان. نعمل مشيئة اللّه مبتعدين عن شيطان الجَوَلان. نتشبّه بالمسيح في أقواله وأفعاله وأفكاره؛ كي ننجو من القصاص العادل بالشفقة الإلهيّة ، يأتي هو ويدحرج القساوة من قلوبنا ويعتقنا من الحبس والظلمة الخارجية ، نُرضي الرب كما يُرضي الجنديُ الملك؛ لأنّنا سنُطالَب بدقّة عن ثمار توبتنا؛ وعلى قدر كثرة شدّة تقيُّحنا تشتد الحاجة الى التداوي؛ لا نميل يميناً ولا يساراً؛ ولا نلتفت الى الوراء؛ فنرتدّ إلى خلف ونصير عمود ملح بلا حراك .

نتوب عن شَرِّنا وضعفنا حتى لا تصير أواخرنا أشَرّ من أوائلنا؛ ويعطينا اللّه نعمته لكي نقبلها ونحرسها. ففي نعمته يكمُن خلاصنا ؛وهي التي تسند توبتنا وتقودنا إن كُنّا نُخْلِص بحقٍّ.

بالتوبة نصل إلى كنزنا الذي داخلنا وسلَّم ملكوته فينا ، سائرين بالتوبة، لأن الخلاص هو نصيب مَن يسلك حسب قانونها ويُصلح حاله بتوبته. **نتوب عن أرواح الكذب والإدانة والطمع والتعظّم ومحبة النصيب الأكبر والنجاسة والخبث والرياء**، ولا نثق بطين جسدنا مدى الحياة، ولا نرتكن إليه حتى نقف أمام المسيح الديّان، لأنّ اللّه لن يأتي بنا إلى الخلاص ضداً لحرية إرادتنا، بل برغبة أنفسنا وتهليل قلوبنا.

مناهج توبتنا تنقذنا من الخطأ وتمنحنا نعيم الملكوت، نتوب عن عبودية الخطيئة، وتكون كل كلمة وكل فعل من اللّه، هو قاعدة وقانوناً لنا في التقوى والفضيلة والتجديد يوماً فيوماً، حيث يتأسس هيكل الثالوث القدوس في داخل قلوبنا، نفعل الأمور الصالحة ويكون اللّه نفسه هو مُبتغانا. نجمع زهور روحية تنسج لنا أكاليل سماوية وتنضح ثمرتنا (الزهور ظهرت) و (الطيب انسكب) عندما يجتذبنا المسيح نفسه إليه ويقرّبنا منه. لا يذكر خطايانا وتعدِّياتنا فيما بعد، لأن التوبة الحقيقية هي معجزة شفاء عظيمة ، وهي البشارة المفرحة الجديدة، وهي عملنا الدائم الذي يلازم حياتنا باستمرار، نغيِّر أذهاننا وسلوكنا ونقوم من غفلتنا، هي (حزن مُفرِح). (حزن) الندم على خطايانا؛ و (فرح) رجاء الغفران. فهي ليست أزمة نفسية إنفعالية، لكنها تَحَوُّل داخلي وروح جديدة، نجحد فيها اليأس ونترجى حياة مستقيمة. فنحن لسنا في طريق مسدود، بل في سعة سكة الحياة، ننسى ما وراء ونمتدّ إلى ما هو قدّام في موقف دائم ما دامت النعمة وافرة والإرادة حاضرة.

حزن التوبة مضيء لأنه حزن بحسب مشيئة اللّه «ينشىء توبةً لخلاصٍ بلا ندامة» (٢كو ٧: ١٠). فما التوبة الصادقة إلا حالة (إنسان الحريّة) ، التي تثمر فرحاً وسلاماً وإنفكاكاً من ثقَل الخطية وذنبها وعثرتها، إنه (اختبار) سلوك الحياة والبَرَكَة، ورفض الموت واللعنة. (اختبار) عمل الإرادة الإلهيّة من أجل المسرّة. (اختبار) عمل الأعمال المُرْضيَة أمام اللّه. (اختبار) دعوة واختيار المُعَيَّنين للحياة الأبدية وللمُمَسكين بها. والتي إليها دُعُوا. ساهرين صاحين متممين خلاصهم بخوف ورعدة، ملتحفين بنعمة اللّه المخلِّصة لجميع الناس، حافظين وديعتهم الى اليوم الأخير. لأن كل مَن لا يقدّم توبة ينال الويلات والتوبيخ والهلاك «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» (لو١٣: ٣٠).

فإن كان اللّه يتأنَّى علينا ويتركنا هذه السنة أيضاً، فذلك لأنه لا يشاء قطعنا وهلاكنا، لكنه يقبل توبتنا ويبرّرنا، ويقبل ثمرنا إن كُنّا نرجع ونحيا، هو يمكث معنا ويدخل إلينا ويقبل كل من يُقبل إليه، يأتي عندنا ويصنع منزلاً، يدخل ويتعشّى معنا، يقيم فينا ويغفر لنا زلاتنا. كلما نحاسب أنفسنا ونُدرك ضعفنا ثم نقوم لنرجع إليه. وعندما نأخذ خطوة نحوه هو يأتي إلينا مبادراً ويستقبلنا ويتحنّن على كل راجع، يركض نحوه ويُلبسه الحُلَّة (المعمودية) والخاتم (الميرون) ويدعوه إلى ذبيحته المثمّنة (الإفخارستيا) ليأكل ويفرح بالوليمة المجانية.

يا لفعل التوبة المستمر، إنه الحدث الفائق الذي نعود به إلى اللّه ونرجع إليه وتتغيّر حياتنا مجدّداً. إنه سرّ حلاوة المسيحية في البداية الجديدة ـ (هبني يا رب أن أبدأ) ـ نعرف زيفنا وسقطاتنا ليحل النور محل الظل والظلام، وتصير الخطية المتكرّرة والمحبّبة مكروهة ومرفوضة بل وغريبة في نور ومعونة جمال المسيح الإلهي. وهي بالجملة معجزة غفران خطايانا وعمل اللّه المعجزي معنا مثلما مع السامرية والإبن الضّال، نُسرع وننزل مع زكّا، فنلتقي بالقدوس والبّار الذي دعانا لنتوب؛ حاملاً خطايانا في جسده على الخشبة، وبه نكون أعظم من منتصرين، متحصِّنين

بختمه الملوكي الخلاصي العجيب، وبعلامة ضمانته المخلِّصة الموسومة لمعونتنا والتي لا تُمحى.

ويعتبر آباء كنيستنا المقدسة، أنّ التوبة هي برهان التقوى وصدق العشرة المقدسة مع الآب والإبن والروح القدس، وبها نختبر الثمار اللائقة التي تفتح إضاءة طريق الملكوت، كخطٍّ ونصيب أبدي في فَرَحٍ لا يُنطَق به.

نتوب عن كلّ شرّ ولا تسودنا الخطية بسلاح الإنجيل وحلول المسيح في إنساننا الباطن. نجاهد لنضبط أنفسنا في كلّ شيء، وبإصرار نرفض تذكارات الشرّ ومعقولات إبليس وَحيلَه. هو يكرّر عمله ونحن نكرّر رفضنا «قاوموه راسخين بالإيمان» (ابط ٥:٩). وبتعب التوبة اليومي لا تعود قلوبنا تتقسّى عبر أزمنة الحياة وحتى غروب العمر، لأن التوبة تُقاس بصدق ميل القلب وحرارته ورغبته، وبإدراك مقدار الدَيْن الذي سامحنا به اللّه ؛ وإله الفرصة الثانية المتجدّدة هو إله المستحيلات الذي لا يشاء موت الخاطىء مثلما يرجع ويحيا، هو الفخاري الذي يصيغنا من جديد ويصنعنا آنية كرامة له، يعود ويعملنا وعاءً جديداً كما يَحسُنُ في عينيه.

توبتنا هي طريقنا ومسيرة نُمُوّنا ، قائدها الروح القدس، تصل بنا الى الشبه الإلهي، وهي لا تكمل إلا بإستجابة عمل

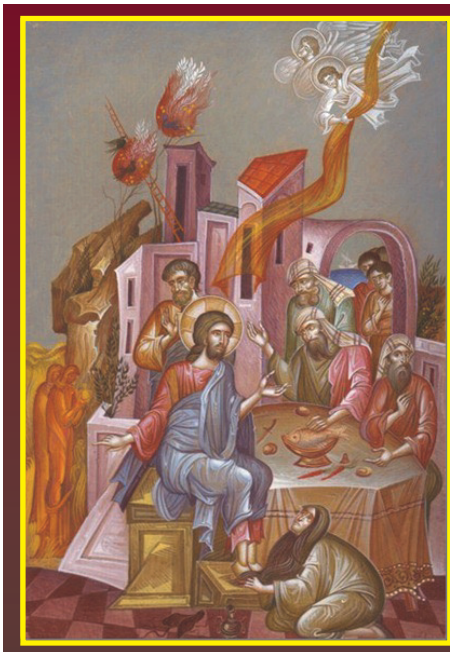

يا رب! إنّ المرأة التي سقطت في خطايا كثيرة، لما شعرت بلاهوتك اتخذت رتبة حاملات الطيب، وقدمَت لكَ طيوباً، قبل الدفن، منتحبة وهاتفة: ويحي! لقد حَصَلَ لي شَغَفُ الفجور وعشق الخطيئة ليلاً مقتماً فاقد الضياء. فاقبَل ينابيع دموعي، يا مَن يجتذب مياه البحر بالسحب، واعطف لزفرات قلبي، يا مَن أحنيت السماوات بتنازلك الذي لا يُدرَك. فَأُقَبِّلُ قدميك الطاهرتين وأنَشِّفهما بضفائر رأسي، اللتين لما طَنَّ صوت وطئهما في مسمع حواء في الفردوس جزعت واستَتَرت خوفاً. فَمن يفحص كثرة خطاياي ولجج أحكامك، فيا مخلصي المنقذ نفسي، لا تُعرِض عني أنا عبدتك، يا من له الرحمة التي لا تُحصَى.

النعمة فينا وبإتمام الوصايا وعدم التأجيل أو الإهمال والتحول للطابع الحسن، حسب متطلبات قصد دعوتنا التي بها نكون مرضيين عنده وغير مرفوضين. وتستمر توبتنا هذه دائمة حتى القبر عندما نربط كل شيء بما يطلبه منا سيّدنا وملكنا في الخفاء والعَلَن، وفي كل ما يجعلنا مقبولين عنده. متمّمين عمله الذي يُنشىء فينا إرادة الخلاص والثبات في توبة تستمر (توبة الحياة، أو حياة التوبة). تتفق فيها توبتنا مع عظَم إحسان اللّه تجاهنا، فتجعله يتحنّن وَلا يلاحقنا بغضبه، إنما يدركنا بصلاحه: نطلب الحقّ، نُنْصف المظلوم، نُقضي لليتيم، نُحامي عن الأرملة، نتحاجج معه وهو يسير معنا كل الطريق؛ نمشي له خطوة وهو يقترب نحونا أميالاً ليُبَيِّضنا كالثلج ويُذيقنا حلاوته ويفتح أمامنا الأبواب، فندخل إلى المنازل الكثيرة، وكلما ندخل تنفتح أمامنا أبوابٌ جديدة وتنكشف لنا أعماق العجائب، وننال فرح توبة الربيع الروحي، نجني بذار بهجة التحرّر من الذنب والملامة ونحصد بركات النهوض من السقطة والغفلة. وكما خَلُصَت راحاب الزانية واللص اليمين الذي صار أوّل مواطني الفردوس، ومثل العشار الذي صار إنجيلياً، والمجدّف الذي نال رتبة الرسولية، هكذا نحن نكمل صناعة توبتنا في كل زمان مهما كان هو لنا زمان توبة.

الاخوة النيام في الكنيسة

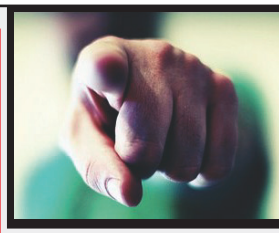

ذهبَ بعض الآباء الرهبان الى أبيهم الروحي القديس الأنبا بيمن الأب الرؤوف، ذهبوا، وفي قلبهم غيظٌ وكَمد، بحماس يعوزه البصيرة والشفقة، كانوا يشكون له حال زميلهم الذي لاحظوا عليه، نومه في الكنيسة اثناء تأدية الخدمات. بادروا ابيهم الروحي قائلين:

ـ لقد وجدنا أخاً لنا نائماً في الكنيسة اثناء الصلاة وحيث تحين ساعة الجهاد ... فماذا تفعل يا أبانا ؟

ـ أجاب القديس في هدوء، وقد لاحظ عليهم فقدان المحبة، المتأنية المترفقة، وقال: ان وجدت اخي نائماً في الكنيسة كما تقولون، فانني افسح له، واضع رأسه على ركبتي ليستريح !!

هنا تذمّر الاخوة، وظَنَّ احدهم ان معلمهم جانَبَ الصواب في رَدِّه، فسأل متجاسراً: وما الجواب الذي تعطيه للمسيح، ازاء هذا العمل، يوم الدين ؟!

هنا أطرَقَ القديس الى الأرض، يتكلّم في عذوبة وثقة، وقال: سأقول لربّي، لقد قلتَ لي الهي، أخرج الخشبة من عينك اولاً، حتى تُبصر جيداً ان تخرج القذى من عين أخيك !

وخرج الأخوة، منتفعين وانصرفوا.

وقبل ان ينصرف الاخوة، الا نتعلم نحن الدرس، فلا ينفذ صبرنا سريعاً، ونُسرع بالحكم على الآخرين، ندين تراخيهم وكسلهم، في الوقت الذي تمتلأ فيه حياتنا هواناً، وخشباً كثيراً يملأ عيوننا، فلا نلتفت إلاّ الى خطايا الآخرين، بينما تتزاحم خطايانا فينا... خطايانا الكثيرة التي تدعونا الى الخزي والعار !

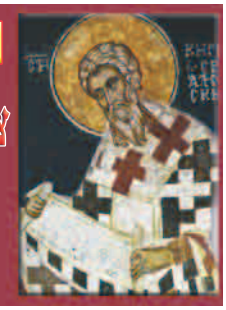

العظات الثمانية عشر لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم

العظة العاشرة في العماد

«... وبربٍّ واحد يسوع المسيح»

«هناك كثير من الآلهة وكثير من الأرباب وأما عندنا نحن، فليس إلاّ إله واحد وهو الآب، منه كل شيء وإليه نحن راجعون، وربٌّ واحد وهو يسوع المسيح به كان كل شيء وبه نحن قائمون» (١كو٨: ٥-٦)

١٢ ـ أشعيا يدعوه مخلّصاً

يسوع المسيح هو الرب الوحيد ، وقد بَشّر الأنبياء باسمه بطريقة مبهمة. فقد قال أشعيا النبي: «هوذا مخلصك آت وجزاؤه معه» (أشعيا ٦٢:١١). وكلمة «يسوع» في اللغة العبريّة تعني «المخلص». وإذ سبق ورأت النعمة النبوية أن اليهود سيقتلون الإله المتجسّد. لم تكشف لهم عن هذه التسمية لكي يتمكّنوا ـ وهم لا يعلمون مسبقاً هذا الاسم بصفة أكيدة ـ من نصب شراكهم بسهولة أكثر. لقد دُعيَ يسوع لا من الناس بل من الملاك ـ الذي لم يأت من نفسه، ولكن بناء على أمر اللّه ـ ليقول ليوسف: «لا تخف أن تَجيء بامرأتك الى بيتك، إن الذي تحمله هو من الروح القدس، وستلد ابناً فَسَمِّه يسوع. ـ وأضافَ في الحال سبب هذه التسمية بقوله ـ «لأنّه هو الذي يخلِّص شعبه من خطاياهم» (متى١: ٢٠-٢١). قل لي : كيف يمكن أن يكون شعبٌ للذي لم يولد بعد. إن لم يكن كائناً قبل أن يولد؟ وهذا ما يقوله النبي عن شخصه: «إن الرب ذكر اسمي من أحشاء أمي» (أشعيا ٤٩:١). لذلك أعلن الملاك من قَبل أنه سيُدعَى يسوع. وفيما يخصّ نوايا هيرودس السيئة، يقول: «وفي ظلّ يده خبأني» (أشعيا ٤٩:٢).

١٣ ـ واليونانيون يسمّونه طبيباً

«يسوع» إذن عند العبرانيين يعني «المخلّص» وعند اليونانيين «الطبيب». وبما أنه طبيب النفوس والأجساد وشافي الأرواح، فهو يشفي عميان الحواس بضياء أذهانهم. وبما أنه طبيب العرج المنظورين، فهو يسدّد خطى الخطأة الى التوبة. فيقول للمخلع: «لا تعد الى الخطيئة» و «قُم فاحمل فراشك وامش» (يو٥: ٨، ١٤). ولما كان الجسد قد شُلَّ بسبب خطيئة النفس، فهو يبدأ بشفاء النفس لكي يستردّ الجسد صحته. فاذا كان احد يتألم في نفسه من خطاياه، فلدينا طبيب، واذا كان هنا احد قليل الايمان، فليقل له: «شدّد يا رب إيماني الضعيف» (مر٩:٢٣). وان كان احد يرزح تحت عبء أهواءه الجسدية، فلا ييأس، ولكن فليأت ـ لأنه يشفي حتى هذه الأمراض ـ وليعترف بأن يسوع هو المسيح.

١٤ ـ يسوع هو المسيح

لقد قَبِلَهُ اليهود على أنه «يسوع» ، ولكن رفضوا أن يعترفوا بأنه «المسيح». ولذلك يقول الرسول: «من هو الكذّاب إن لم يكن ذاك الذي يُنكر أن يسوع هو المسيح؟» (١يو٢:٢٢). المسيح حَبرٌ « له كهنوت لا يزول» (عبر ٧:٢٤). لم يبدأ كهنوته في الزمن، ولن يكون له خلفٌ في الكهنوت. كما سمعتَنا نقول في اجتماع يوم الأحد، بأن كهنوته على رتبة ملكيصادق. لم يتلَقَّ كهنوته عن سلف بشري، ولم يُمسَح بزيت أعدّه انسان، بل مسحه الآب قبل الدهور. وبهذا يختلف عن الآخرين، إنه كاهن بقَسَم: «اولئك أقيموا بلا يمين، وأما هذا فبيمين منَ الذي قال له: أقسَمَ الرب ولن يندم، إنك كاهنٌ للأبد» (عبر ٧:٢٠-٢١). وفي الواقع ان عزم اللّه وحده كان كافياً للتثبيت. ولكن اللّه استخدم هنا وسيلة مضاعفة للتأكيد: القَسَم مضافاً الى العزم. «وشاءَ بهذين الأمرين الثابتين ـ ويستحيل ان يكذب اللّه فيهما ـ أن نتشدّد نحن الذين التجأوا الى ما جعل لهم من رجاء ليتمسّكوا به» (عبر٦:١٨)، نحن الذين نعترف بأن المسيح هو ابن اللّه.

١٥ ـ اليهود وحدهم يرفضونه

عندما جاء المسيح، نَكَره اليهود، ولكن الشياطين اعترفوا به. (لو٤: ٤١)، وداود جدّه لم يجهله، اذ قال: «أعددتُ سراجاً لمسيحي» (مز١٣١:١٧). يرى بعض المفسّرين في السراج وضوحَ النبوّة، والبعض الآخر تجسّد المسيح من العذراء مريم، وفقاً لكلمة الرسول هذه: «هذا الكنز نحمله في آنية من خزف» (٢ كور٤:٧). ولم يجهله النبيّ أيضاً، عندما قال: «وأعلن للبشر بمسيحه» (عاموس ٤:١٣). عرفه موسى وأشعيا وإرميا، ولم يجهله أحد من الأنبياء. والشياطين أيضاً عرفوه «اذ كان ينتهرهم» ، على حدّ قول الإنجيلي، «لأنهم عرفوا أنه المسيح» (لو ٤:٤١). لم يعرفه رؤساء الكهنة، ولكن الشياطين اعترفوا به؛ لم يعرفه رؤساء الكهنة، ولكن إمرأة سامريّة بَشّرت به، بقولها: «هلموا انظروا رجلاً ذكرني كل شيء فعلت. فلعلّه المسيح» (يو ٤ :٢٩).

العطاء أكثر غبطة من الأخذ

من أجمل عوائد الطبيب الياباني أنه اذا زار مريضاً لا يفكّر قط في طلب أجرته، وهناك جمعية تدعى «أخوية اليابان الطبيّة» ، من مبادئها اذا **أغارَ العَدُّوان التوأمان الفقر والمرض** على بيت فمن يأخذ منه شيئاً ولو أُعطيَ له، عُدَّ لصاً. والطبيب عندهم لا يعطي المريض فقط وقته وطبّه مجاناً بل يَعطيه ايضاً نقوداً لسدّ حاجته.

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

تشبيهات لتوضيح مجيئه

(٣) الاحتواء في شخص:

تشبيه آخَر يبيِّن مجيء اللّه إلينا في شخص يسوع يأتينا من خلال مجال العلاقات العامَّة. يقول البعض: «إن أفضل طريقة كي أنشرُ فكرة، هي أن أُدخلها في شخص». لعلَّ هذا هو سبب أن الحكومات تُقيم سفارات وتُرسل سفراء إلى الدول الأخرى، وهذا هو السبب في أن الشركات تطلُب مندوبي مبيعات لتمثيلها.

وبمعنى أكثر سُمُوّاً، فهذا هو ما عمله اللّه في التجسُّد. كانت في عقل اللّه فكرة وكان يرغب بحرارة أن يوصِّلها للإنسان وهي رسالة حبِّه الإلهيّ، كلمة المسامحة والسلام والفرح. إن إلهاً شخصيِّاً أراد الاتصال بأشخاص يمكنهم أن يفهموا ما هو شخصي. لذلك فإن اللّه في حكمته التي لا يُسْبَر غورها تَبَنَّى هذه الفكرة التي كان تَوَّاقاً أن يوصِّلها لأولاده، فَغَلَّفها ودَمَجها واحتواها في شخص ابنه الحبيب الوحيد، وأرسله من السماء إلى الأرض حتى يمكن لجميع الناس في كل مكان أن يأتوا ويَعْرفوا إرادته السخيَّة ورحمته الغامرة.

(٤) الهديَّة العظمى:

اتَّصل شخصٌ ما بزوجته ليلة عيد الميلاد من مكان بعيد كان قد سافر إليه منذ سنوات وأبلغها أنه قريب من المدينة وأنه سوف يصل المنزل بعد ساعات. أرادت الزوجة أن تحتفظ بهذه المفاجأة ولم تُخبر أولادها، التَفَّ الأولاد عند الصباح حول شجرة الميلاد العالية ليأخذوا من حولها هدايا العيد، وفجأة ومن بين رُزَم الهدايا ظهر الأب. كان الأولاد يتوقَّعون هدايا وإذ بهم يرون والدهم بنفسه.

إن اللّه أعطانا أعظم عطيَّة في شخص يسوع. لا يوجد شخص في أي مكان على الأرض لا يحتاج إلى غفرانه وإلى حُبِّه وإلى سلامه وإلى إرشاده. إنه الوحيد الذي يمكنه ملء الفراغ في نفس الإنسان، تماماً مثلما قال للسامريّة: «كل مَن يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً، ولكن مَن يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماءٍ ينبع إلى حياة أبديّة» (يو:١٣-١٤).

إن العطايا القليلة التي يمنحها العالَم لنا لا تُقَارن بشيء إزاء العطيَّة العظيمة التي أعطانا إيَّاها اللّه في المسيح.

(٥) النَّمل:

يأتينا من القصص الهندوسيَّة تمثيل مشهور بخصوص مجيء اللّه إلينا في شخص يسوع المسيح.

حدث أن واحداً من التابعين للديانة الهندوسيَّة كان يتجوَّل في الحقول، وكان يفكّر مليِّـاً في الإهتداء الى المسيحيَّة، وكان مستعدّاً أن يتَّخذ هذا القرار الهام في الإيمان، ولكن بقي أمر واحد في المسيحيَّة يُسَبِّب إزعاجاً له، أنَّه: التجسُّد. وبينما كان يتجوَّل في الحقول أخذ يتأمَّل ويُفَكِّر في نفسه ويقول: "لماذا اتَّخَذَ اللّه قرار التجسّد وأتى إلى العالم ؟ أَمَـا كان يكفـي اللّه أن يُعلن عن ذاته من خلال الطبيعة والأنبياء أو أشخاص آخرين دون أن يُرسل ابنه الوحيد إلى العالم ؟" .

وفيما هذا الهندوسي واقفٌ يتأمَّل، وَقَع ظلّه على واحد من الأكوام الكبيرة التي يتجمّع فيها النمل، وهذا أمرٌ عادي معروف في سهول الهند. ولما شعر النمل بالظلّ واقعاً عليهم، جرى النمل بسرعة نحو التلال. كان الهندوسي يُؤمن بحق الحياة ولا يحب أن يُؤذي أي مخلوق، فلما رأى النمل يعدو بسرعة بعيداً في خوف شديد منه، قال في نفسه: "كيف يمكنني أن أحدِّثهم عن مشاعري الطيبة تجاههم، وأنّني لن أؤذيهم أو أضرَّهم بأي طريقة، بل وفي الحقيقة إنني أتمنَّى أن أساعدهم بأي وسيلة ممكنة لا أن أُسيء إليهم" .

وبينما كان يفكِّر بحماس شديد في هذا الموضوع، إذ بفكر موضوع التجسُّد يخطر على بالِه. أن يصير اللّه جسداً فهذا يشبه ما أُريد الآن أن أفعله، أن أصير نملة كي أقدر أن أتكلم مع النمل بلُغتهم، لأجعلهم يعرفون أنني أُعد لهم مملكة خالدة من الحب. عندئذ أدركَ هذا الهندوسي لماذا صَار اللّه إنساناً.

إنَّ النملة واقعة تحت رحمة الإنسان، يُمكنه أن يطأها بقدميه ويفنيها في لحظة. التجسُّد كان أيضاً نوعاً من الإخلاء الذي اتَّخذه اللّه عندما صار إنساناً.

إن يسوع كابن للّه، كان يمكنه أن يدعو اثنتي عشرة ربوة من الملائكة لتُهلك صالبيه، لكنه أيضاً كابن إنسان كامل مثلنا، فإنَّه لم يفعل ذلك، لَكنه تنازَل وَقَبِلَ أن يُداس هو كالنملة ليُظهِرَ لنا أعماق محبّته.

لأنه هكذا أحب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يَهْلِكَ كلُّ من يؤمن به، بل تكونُ له الحياة الأبديّة. (يو٣:١٦)

الكرسي الخالي

قصّة رمزيّة قصيرة (من بقايا حِكَم الآباء قالوها على هيئة قصص رمزيّة)

الأب كان مريضاً، فتوجَّهت ابنته الى الكنيسة تسأل الأب الكاهن ليأتي ويُصلِّي على أبيها. وحينما أتى الكاهن ، وجد الرجل مستلقياً على فراشه ورأسه مسنود على وسادتين، بينما يوجد كرسي خال بجانب سريره. وظَنَّ الأب الكاهن أن المريض كان منتظراً قدومه. فوضع هذا الكرسي بجانبه، فسأله: «أظن أنّك كنت تتوقَّع مجيئي» ؟

فَرَدَّ المريض:

ـ لا للأسف، يا أبونا، أهلاً وسهلاً».

فقال الكاهن:

ـ «حينما رأيتُ الكرسي، ظننتُ أنك كنتَ متوقِّعاً مجيئي».

فردَّ المريض:

ـ «ألا تُغلق باب الغرفة إذا سمحت، يا أبونا».

فأغلق الأب الكاهن البابَ وهو متحيِّر.

فقال المريض:

ـ «لم أخبر أحداً بهذا ولا حتى ابنتي، ولكنني طيلة حياتي لم أكن أعرف كيف أصلِّي. وفي الكنيسة كنت أسمع العظة وفيها كلام عن الصلاة، ولكني لم أفهم كيف أصلي» ؟!

وأكمَل الرجل حديثه:

ـ فكففتُ عن أية محاولة للصلاة، إلى أن جاءني صديقٌ حميم منذ ٤ سنوات وقال لي:

يا عم باسيل ، الصلاة أمرٌ بسيط جداً، إذ هي حديث مع الرب يسوع المسيح. وأقترح عليك أن تضع كرسياً بجانبك، وبإيمان انظر الرب جالساً عليه. وقد وَعَدَنا الرب أنه يكون معنا دائماً. وابدأ في الحديث معه، وأنصت إليه، تماماً كما تُكَلِّمني الآن وتنصت إِلَيّ».

وهكذا فعلت، وظللتُ أُمارس الصلاة بهذه الطريقة ساعتين كل يوم. وأحرص على ذلك جداً».

وتأثّر الأب الكاهن جداً من هذه القصة، وشجّعَ هذا الرجل المسنِّ أن يستمر هكذا في اختباره، ثم أخرجَ قنينة الزيت المقدّس ومسحه به وصلَّى له، وانصرفَ عائداً الى كنيسته.

وبعد ليلتين، ذهبت الإبنة إلى الأب الكاهن وأخبرته أن والدها قد توفي هذا المساء.

فسألها:

ـ «هل مات وهو في سلام» ؟

فقالت له:

ـ «قبل أن أخرج من المنزل الساعة الثانية بعد الظهر لأقضي أمراً ما، دعاني أبي إلى جانب سريره، وتلاطف معي، وقَبَّلني على وجنتيَّ.

وبعد أن عدتُ من شراء الحاجيات بعد ساعة، وجدته قد مات. ولكن كان هناك منظرٌ غريب، **فقد وجدته منحنياً ومستريحاً برأسه على الكرسي الذي بجانب سريره»** !

ـ كأنَّ هذا الرجل وهو يستودع روحه في يديّ الرب:

+ «كان متّكئاً في حضن يسوع ...» (يو١٣: ٢٣).

ـ ولسان حاله يقول:

+ «ارجعي يا نفسي إلى راحتك، لأن الرب قد أحسَنَ إليكِ» (مز١١٤: ٧).

المسيح يُصالح بين قداسة اللّه وعجز الإنسان

+ في سيناء نزل اللّه على الجبل، ليُعطي الإنسان التوراة، فكانت الرعود والبروق والدخان وصوت البوق، والإنسان واقفٌ من بعيد مذعوراً. واللّه لم يكن سعيداً أبداً بهذا الجفاء المُزلزل ؛ ولكن هي عناصر الأرض والسماء والبشر، فَزِعَت، لأن الهوَّة التي تفصل بين طبيعة اللّه وطبيعة العالم والإنسانَ الذي فيه، هي هوَّة يحكمها تنافر سحيق لا يَرْقَى إليه الفكر، ولا يَقوَى أن يسبر غوره أحد ؛ إلاَّ الخاطىء وحده، ربما يمكنه أن يحسَّ بهذه الجفوة ويستشعر هذه الزلزلة. لذلك جاءت طبيعة الناموس في صورة إعلان أحكام قضائية وبنود تفصل بين متنازعين.

+ ولكن لما تنازل «**الكلمة**» الأزلي ودخل في «رَحِم» العالم ـ من خلال عذراء طاهرة قدّيسة ـ هدأت مملكة التراب والترابيين، وكأنما كل ذرة في الوجود قد مَسَّها التجسُّد واجتذبها، فتجلَّت في حضرته واستراحت وانعطفت إليه. وعوَضَ النفور والرعود والبروق، ترنَّمت جنود السماء واستضاءتَ عناصرها من فوق، بسرِّ المصالحة العظمى الذي طرحته الملائكة في شكل أُنشودة الخلاص والسلام والمسرَّة. واستقبلت الأرض أصداء النشيد، وأخذت تُردِّده بلا توقُّف، تعبيراً عن حقيقة الحضرة الإلهية التي بدأت بالتجسُّد، ولن تنتهي، كصلاة «**صلح**» ألَّفتها الملائكة ولقَّنتها «**للرعاة**»، وستظل تُردِّدها البشرية إلى منتهى الدهور، إلى أن يَكمُل هذا «**الصلح**» الذي بدأ عمله بالتجسد والصليب...

+ المسيح جاء ليرفع هذا الحاجز المتوسط الذي أنشأه البُعد والتنافُر الهائل بين الطبيعتين: طبيعة اللّه وطبيعة الإنسان، ويزيل لعنة الناموس باستعداد دفع الثمن الفادح، أي قبول اللعنة في نفسه، ليجمع في نفسه ويصالح بين قداسة اللّه وعجز الإنسان، السماء والتراب معاً ...

(من أقوال آباء الكنيسة)

أدبيّات Moralia

للقديس باسيليوس الكبير

جمع القديس باسيليوس الكبير في كتابٍ سمّاه «أدبيات» نصائح مختلفة مفيدة لكل إنسان. وهي تُعَدُّ ثمانين نصيحة نورد بعضاً منها:

١ ـ يلتزم كلّ مَن آمن بالسيِّد المسيح أن يتوب، أي أن يرتدّ إلى اللّه كلّ مرّة تفتر أو توتر او تنقطع الصلة بينه وبين اللّه. والطريقة الفضلى للتوبة هي التي علّمها القدّيس يوحنا المعمدان والتي اوحى بها الإنجيل. وأشير إلى الذين يرفضون التوبة بعد مجيء المسيح إلى الأرض فادياً ومخلصاً سيدانون بدينونة أشدّ قسوة من الذين سبقوا مجيء المسيح.

٢ ـ يصعب جداً التوفيق بين خدمة اللّه وبين الاهتمام المفرط بأمور تتنافى ومتطلّبات التقوى. وهذا لا يعني الإعراض عن خيرات العالم، لكن السيّد يُلزم تبّاعه بنبذ الاهتمام الزائد بها. وطرح تفضيلها عليه إذ هو الخير الأسمى للإنسان. إن اللّه هو غيور ويريد أنْ تسمو محبته على كلّ شيء وعلى كل محبة.

٦ ـ لا بدّ من شجاعة وبأس ونبذ الخجل والخوف عندما نضطر إلى الإعتراف بالمسيح وإعلان الإيمان به وبإنجيله.

٨ ـ يلتزم المؤمن أن يُبعد الشكّ عنه وينبذ التردّد عندما يدور البحث عن تعاليم المسيح في الإنجيل، لأنّ هذه التعاليم هي مطابقة تماماً مع الحقيقة ولا تقبل الغلط. وان الإنسان يستطيع القيام بها رغم ان الطبيعة البشريّة تستصعبها في أمورٍ كثيرة.

٩ ـ لا بدّ من السعي إلى معرفة الواجبات التي يلتزم بها الإنسان في حياته على الأرض.

١٠ ـ عاقبة الخطيئة هي الموت.

١٢ ـ إنّ الإرتياب والشك يبعد عن اللّه رغم انه يصدر احياناً عن دافع تقوى. لا بدّ من الإستسلام لكلام اللّه دون شكّ البتّة ودون تردّد.

١٤ ـ لا يجوز خلط الأمور المتعاكسة؛ فلكلّ أمر وقت، ولكل حديث وقت.

١٥ ـ لا يجوز إهمال الواجب بسبب الاتكال والاعتماد على أعمال الآخرين الصالحة.

١٦ ـ لا يفيد الإنسان شيئاً العيش مع الأشخاص الأتقياء والصالحين، والظهور بمظهر الصلاح، إذا كان الإنسان لا يعكف على إصلاح نفسه وتجميلها بالفضائل.

١٨ ـ لا بدّ من إتمام وصايا اللّه كما يريد اللّه. واننا نغيظ اللّه إذا خالفنا الطريقة المرسومة لنا لإتمام الوصايا.

١٩ ـ يحظر على الإنسان منع إنسان آخر عن إتمام مشيئة اللّه. وعلى الإنسان الحذر من الخضوع لضغط الآخرين بمخالفة إرادة اللّه، حتى ولو كانوا من الأقارب والأصدقاء.

٢١ ـ لنيل الحياة الأبديّة لا بدّ من **تناول جسد ودمّ المسيح**. هذا **أمر** سيّدي وليس نصيحة.

٢٢ ـ انّ الخطيئة تُبعد الإنسان عن اللّه وتربطه بالشيطان.

٢٦ ـ إنّ كلّ كلمة وكلّ عمل يجب ان تستند على كلام اللّه في الكتاب المقدّس.

٣٠ ـ لا يجوز استعمال الأشياء المقدّسة لضرورات عامّة شائعة.

٣١ ـ انّ الاشياء التي يستعملها الأشخاص المكرّسون للّه لا يجوز ان تُعطى الى العامة من الناس.

٣٢ ـ ان العدل والمساواة تلزمنا ان نعطي لكل ذي حقٍّ حقّه.

٣٣ ـ لنبتعد عن الشكوك.

٣٤ ـ نلتزم بإعطاء المثل الصالح للغير، وكلّ إنسان يلتزم بذلك حسب مقدرته ووظيفته.

٣٦ ـ يستحق التكريم والتقدير مَن يحرص على تعليم اللّه ويدافع عنه ويعلّمه للآخرين.

٣٧ ـ إنّ الخضوع لأوامر اللّه حتى البسيطة وإتمامها هو مقبولٌ عند اللّه حتى ولو قامت به النساء.

٤٠ ـ ابتعدوا عن الأنبياء الكذبة الذين يعلّمون تعاليم تخالف الإنجيل.

٤١ ـ لا بدّ من قطع دابر كل أسباب الشكّ، رغم انها قد تصدر لأسباب شخصيّة وضرورية.

٤٣ ـ إنّ الإنجيل يمنع الأعمال الشرّيرة الظاهرة وبالوقت نفسه يحرّم الأعمال الشرّيرة الخفيّة.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٧١)

الفصل السابع

إنقسام المملكة إلى مملكتين (٩٣١ ق.م.)

مملكة إسرائيل (المملكة الشمالية)

من تولي رحبعام إلى سقوط السامرة ٩٣١-٧٢٢ ق.م. (١مل ١٢-٢٢، ٢مل١-١٧)

إسرائيل في حُكم أخاب (٨٧٤-٨٥٣ ق.م.):

حينما اعتلى أخاب العرش كانت أرام الجار المنازع تقف له بالمرصاد إذ جمع بنهدد ملك أرام جيشاً وانضم إليه ملوك المقاطعات وحاصر السامرة، ولكن الإسرائيليون ضربوهم ضربة عظيمة (١مل ٢٠:٢١)، وعادت الحرب دفعة ثانية حيث صعد الأراميون إلى أفيق لمحاربة إسرائيل وانتصر أيضاً إسرائيل في هذه المعركة، لكنها إنتهت بمعاهدة بين أرام وإسرائيل (١مل٢٠:٣٤) واستأنف آخاب سياسة أبيه في التشييد والبناء، وفي عاصمته السامرة أتمّ بيت العاج ذاك القصر الضخم وقد بناه على قمة التل وزيّنه بالرسوم والزخارف ذات الفن الفينيقي وهو القصر الذي صَبّ عليه عاموس النبي إنتقام غضبه (عا ٦:٤). وقد أكتشف سنة ١٩١٠م هذا القصر وأزيحت أكوام التراب وظهر برجٌ ضخم وحوض متسع وعلى الأرجح أنه هو ذاك الحوض الذي غسلت فيه مركبة آخاب (١مل٢٢:٣٨)، كما اكتشف بالقصر عشرات القطع من العاج وبعضها مغطّى بصفائح رقيقة من الذهب، وعثر على أدوات ثمينة كانت داخل القصر عليها رسوم ذات أشكال فينيقية وفرعونيّة، والقصر مزيّن بألواح من العاج المنقوش نقشاً بديعاً وعثر فيه على زهرية (مزهريّة) من المرمر مكتوبٌ عليها إسم اسركون الثاني فرعون مصر (٨٧٤-٨٥٠ق.م.) وهو ملك معاصر لآخاب والزهرية مرسلة هدية منه الى آخاب وكانت مملوءة بالطيب، كما وجدت نقوش في القصر وبعض كتابات منها ما يخص عبادة اللّه مثل كلمة يوريا «الربّ نوري» ويوناثان «الرب أعطى»، وعبارات أخرى خاصة بعبادة البعل مثل أبيال «**البعل أبي**» ومريبال «**البعل سيّدي**»، وهو ما يُظهر بوضوح إختلاط العبادة في ذاك الوقت في إسرائيل حيث عاشت السامرة تتأرجح بين عبادة اللّه النقيّة وعبادة البعل (امل١٨:٢١). والفخامة في الآثار المكتشفة تصوّر تلك الحياة الناعمة التي كان يحياها ملوك السامرة وشعبها مما إستجلب عليهم توبيخ عاموس النبي (عا ٣:١٥)، كما اكتشفت حصون الدفاع الرئيسية في مجدو وحاصور وجازر تلك الحصون المتشابهة والتي تميّزت بأنظمة من الأسوار والمشاريع إمدادات المياه، وفي مجدو (تل المتسلم) أعيد بناء المدينة وقوّيَت البوابات بالسور، واكتشف في مجدو إسطبل ضخم للخيول به أربع مئة وخمسون معلفاً للخيول، وهذا العدد الهائل من الخيول يُظهر إهتمام أخاب بتقوية سلاح الفرسان والعربات في قوة الجيش. وفي حاصور (تل القدح) اكتشف حصنٌ قوي على قمة تلٍ مرتفع واكتشفت في مجدو الأسوار المرممة للمدينة وحجراتها المزدوجة وهي التي بناها سليمان وحفر في مجدو خندقاً لضمان ورود المياه إلى الحصن من الحافة الجنوبية للتل بعمق ١٠٠ قدماً (٣٠ متراً) وينزل إليها بِسُلَمٍ يصل ارتفاعه ١٥ قدماً (٤،٥ متراً) وبه ثمانون درجة.

الأجواء السياسية المعاصرة لآخاب:

إضطربت الحياة السياسية في المملكة الشمالية بسبب صحوة المارد الأشوري وتطلعه إلى أراضي إسرائيل وسارت الأحداث على النحو التالي:

(أ) زحف المارد الأشوري:

ما أن تملك أشور ناصربال الثاني (٨٨٤-٨٥٨ ق.م.) عرش أشور حتى أوغل في فتوحاته ووطد الأمن في أطراف مملكته ومستعمراتها وبعد أن ملك الجبال الشرقية والشمالية إتجه ناحية أرام وفتح دمشق وكان من الملوك القساة وأدخل نظام الخيالة في الجيش بصورة واسعة وجدّد مدينة كالح (نمرود) وبنى له فيها قصراً عظيماً من الرخام ومزيّناً بالعاج، وتلاه على العرش إبنه شلمناصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م.) وورث عن أبيه إمبراطورية شاسعة مترامية الأطراف وأراد أن يضيف إليها مستعمرات جديدة بعيدة فوصل إلى منابع دجلة والفرات واجتهد في نشر الحضارة الأشورية وتطلع إلى أراضي أرام وإسرائيل.

(ب) الحلف الإسرائيلي الأرامي:

زحف الملك الأشوري شلمناصر الثالث بقواته الجرارة وعبر الفرات على رأس قوة حربية ضخمة واخترق سوريا متجهاً بقواته الى البحر الكبير، وظهور هذه القوة الغاشمة في الشمال الشرقي دعت الجارتين أرام وإسرائيل أن ينسوا خلافاتهم وينضموا مع ملوك آخرين من فينيقيا ومصر لمواجهة هذا الخطر الزاحف؛ ويذكر الكتاب المقدس عن هذه الفترة أنه لم يكن حرب بين أرام وإسرائيل لفترة استمرت ثلاث سنوات (١مل٢٢:١)، وحارب الملك الأشوري إسرائيل وأرام كمتحالفين حيث إتحد أخاب ملك إسرائيل مع بنهدد ملك أرام، وإن كان الكتاب المقدس لم يخبرنا بأي شيء عن معركة كركر على نهر العاصي والتي دارت رحاها سنة ٨٥٣ ق.م. .

لكن من أخبار شلمناصر التي أظهرتها لنا الإكتشافات الأثرية نعلم أنه هزم تحالفاً من أرام وإسرائيل وفينيقية وقوة حربية مصرية، كما يخبرنا أن آخاب أرسل إلى المعركة ٢٠٠٠ عربة حربيّة، ولكن في الحقيقة أن نتيجة المعركة لم تكن واضحة إذ أن الحرب لم تكن حاسمة فانصرف الأشوريون ولم يعودوا إلا بعد أربع سنوات .

أيقونة والدة الإله ذات الأيدي الثلاث - التريشيروزا Trichirousa

ارتبطت هذه الأيقونة بسيرة حياة القديس يوحنا الدمشقي. تعود هذه الأيقونة إلى القرن الثامن الميلادي عندما استلم الحكم في القسطنطينية الملك لاون الذي انشأ حرباً ضد الأيقونات المقدسة فأمر برفعها من الكنائس وأخذ يضطهد المؤمنين المستقيمي الرأي الأرثوذكسيين الذين كانوا يؤدون الإكرام الواجب لهذه الأيقونات.

سمع القديس يوحنا وهو في مدينة دمشق عاصمة الدولة الأموية، بهذه الموجة العنيفة ضد الكنيسة، وكان حينئذ علمانياً يشغل منصب وزير الخزينة لدى الدولة الأموية. وكان اسمه المنصور بن سرجون. فانبرى للرد على كل من يهاجم الأيقونات المقدسة واصفاً إياه بالهرطقة وبأنه يحارب تجسد ابن اللّه من العذراء، وتأله البشر بالنعمة الإلهية. واعتمد كثيراً على قول القديس باسيليوس الكبير: إن إكرام الأيقونة يعود إلى عنصرها الأول. ولما وصل الخبر إلى الملك الكاره للأيقونات، أراد أن ينتقم من القديس يوحنا فلجأ إلى الغش والخداع. فدعى إليه بعض الخطاطين ليقلدوا خط القديس برسالة مزورة ملفقة وكأنها على لسان القديس موجهة للملك لاون، وفيها يعرب للملك بأنه مستعد للتعاون معه ضد الخليفة الأموي وأن يسلّم له مدينة دمشق. وبعد ذلك أرسل الملك لاون إلى الخليفة الأموي الرسالة المزورة مع رسالة أخرى يكشف فيها خداع وخيانة المنصور له.

لما استلم الخليفة هاتين الرسالتين أسرع باستدعاء المنصور (يوحنا)، فأراه الرسالة المزورة قائلاً له: أتعرف يا منصور هذه الخط ومن كتبه، فأجاب القديس: أيها الأمير كأن الخط مشابه لخطي وهو ليس خطي وألفاظه ما نطقت بها شفتاي ولم أرى هذا الكتاب إلا في هذه الساعة الحاضرة، ولم يصدقه الخليفة، فأمر بقطع يده اليمنى.

تم تنفيذ الحكم في الحال وعلقت يده في وسط مدينة دمشق. عند المساء أرسل يوحنا إلى الخليفة طالباً منه أن يهبه يده المقطوعة. فأذن له الخليفة بأخذها. أخذ القديس يوحنا كفه المقطوع وعاد إلى بيته وصعد إلى عليته (مكان الصلاة) التي كانت فيها هذه الأيقونة. وضع كفه على الأيقونة وارتمى أمامها مصلياً بخشوع ودموع كي يكشف اللّه براءته من هذه التهمة وأن يشفي له يده كتأكيد لبراءته وكذلك تشفع إلى السيدة العذراء، إلى أن تعب، فنام. وإذ بالسيدة العذراء تظهر له في الحلم قائلة: «قد شفيت يدك التي ستكون قلم كاتب سريع الكتابة». وأخذت اليد عن الأيقونة ووضعتها مكانها، فعادت كما كانت، فاستيقظ القديس معافى اليد وأخذ يصلي شاكراً اللّه وأمه الفائقة القداسة. وللشهادة على قطع يده بقي موضع القطع كالخيط الأحمر. ويقال أنه بعد نهوضه من النوم أنشد في الحال ترنيمة «إن البرايا بأسرها تفرح بك يا ممتلئة نعمة».

في الصباح ذاع صيت هذا الشفاء العجيب في دمشق كلها. وبلغ إلى مسمع الخليفة. فجاء الوشاة إليه قائلين بأن يوحنا لم تقطع يده، بل أنه أعطى أحد عبيده أموالاً كثيرة تقطع يده عنه. فأستدعى الخليفة القديس ليسمع منه الدفاع، فأراه القديس علامة القطع التي بقيت كالخيط الأحمر.

استغرب الخليفة، وسأله بدهشة عن الطبيب الذي أعاد له يده كما كانت. فأخبره يوحنا عن الأعجوبة التي حدثت معه، فعرف الخليفة بالخديعة وبأنه حكم على القديس ظلماً، فطلب منه المسامحة والمعذرة وأعاد له كرامته السابقة كوزير، لكن القديس الذي كان قد عاهد نفسه على ترك الحياة الدنيوية، والتفرغ للحياة الملائكية، طلب من الخليفة أن يأذن له بترك كل شيء كي يتفرغ لربه. فحزن الخليفة على خسارته يوحنا كصديق ووزير، ولكنه تركه أخيراً.

ذهب القديس إلى بيته، وباع ماله ووزعه على الفقراء، وذهب متوجهاً إلى فلسطين حيث التجأ إلى دير القديس سابا المقدس ولم يأخذ معه سوى هذه الأيقونة المقدسة. وقد صاغ القديس معصماً من الفضة ووضعه على هذه الأيقونة شكراً منه على شفائه العجيب وتذكيراً به. بقيت هذه الأيقونة في دير القديس سابا من منتصف القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر حين زار القديس سابا رئيس أساقفة صربيا الدير، فقدمت له هذه الأيقونة المقدسة كبركة له فحملها معه إلى صربيا.

عند احتلال الأتراك لبلاد صربيا، أخذ الأرثوذكسيين هذه الأيقونة وربطوها على حمار وأطلق فيما بعد على هواه بلا قائد ولا مرشد له. وكان لإيمانهم بأن اللّه سيعتني بهذه الأيقونة ويوصلها إلى مكان أمين. وهكذا كان الأمر. فوصل الحمار إلى جبل أثوس ووقف عند باب دير خيلاندار (فم الأسد). فتلقى الرهبان هدية والدة الإله هذه بابتهاج، وحملوها إلى هيكل الكنيسة الكبرى.

في بدء القرن السابع عشر توفي رئيس الدير فاجتمع الرهبان لينتخبوا خليفة له. فاختلفوا فيما بينهم وحصل اضطراب وانشقاق. وفي أحد الأيام أثناء صلاة السحر رأوا الأيقونة على كرسي الرئيس في وسط الكنيسة فأرجعوها إلى الهيكل ظانين بأن خدام الكنيسة هم الذين وضعوها. ولكن هذه الحادثة تكررت مرات عدة، إلى أن ظهرت السيدة العذراء لأحد النساك وقالت له: من اليوم أنا سأكون رئيسة للدير كي لا يحصل فيما بينكم الشقاق والخصام بسبب انتخاب رئيس جديد. ومن ذلك الحين إلى اليوم لا تزال الأيقونة قائمة على مقام الرئاسة وسط الكنيسة. فلا ينتخب رئيس لهذا الدير، وإنما يسوسه ويدبر أعماله كاهن راهب في وظيفة وكيل .